

إِصْلاحُ ذَاتِ البَيْنِ

بقلم

أبي الحارث خالد بن جمعة الخراز

مكتبة الإمام الذهبي
الكويت

المكتبة العصرية
الإسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

رقم الايداع
٤٦٣٩ / ٢٠٠٦

مكتبة الإمام الذهبي
الكويت
حـولي شارع المثنى
هاتف ٢٦٥٧٨٠٦

المكتبة العصرية
الإسكندرية
٢١، ٢٣ ش الصالحي - محطة مصر
محمول: ٠١٠٥٤٠٦٤٠٢ +٢
تلفاكس: ٣٨٠٩٧١٧ ٢٠٣+

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

إنَّ الحمدَ لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شُرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، مَن يَهده اللهُ فلا مُضلَّ له، ومَن يُضللْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه ﷺ وعلى آله وأصحابه وسلم تَسْليمًا كثيرًا.

أما بعد.. فإن من محاسن الشريعة الإسلامية الحرص على تأليف القلوب، وإشاعة المحبة والسلام بين الناس، والأخوة والتعاون، واجتماع الكلمة، وإصلاح ذات البين.

وإصلاح ذات البين لا ينحصر فقط بين الزوجين، بل هو باب واسع يشمل الإصلاح بين الأرحام والجيران والأصحاب والقبائل والبلدان وغير ذلك، وقد دلت النصوص في الدعوة إلى الإصلاح في مواضع كثيرة من القرآن الكريم والسنة النبوية:

■ قال تعالى: ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ (الأنفال: ١)، فهذه آية عظيمة القدر، عظيمة المقصد،

كبيرة المعنى، لو تأملناها علمنا أن الإسلام عظيم في تشريعاته، كما أنها تشريع لمنهاج حياة المسلم؛ يدعونا فيها الله - جَلَّ وعَلا - إلى التقوى والإصلاح بين الناس بوأد كل أشكال التهاجر والتشاحن والتدابر والبغضاء، وبذلك تجتمع القلوب وتصفو النفوس، وينتشر بذلك التحابُّ والتواصل والمودة، ويسود الاتصال، وتقوى روابط المحبة بين الأفراد والأُسر، ويتماسك المجتمع.

والإصلاح عنوان الإيمان، ومنبع الأمان، ومصدر الراحة؛ قال جَلَّ ثناؤه: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾ (الحجرات: ١٠).

إن غليان مراجل القطيعة في المجتمع، لا سيما بين أبناء الأسرة وذوي الرحم والقربى، وطغيان المآرب الشخصية والمصالح الذاتية أدواءٌ فتاكة، إذا تمكنت من جسد الأمة أثخنتها، فهي مصدر كلِّ بلاء، وسبب كل عداء، ومنبع كلِّ شقاء، بل هي السلاح البتار الذي يشهره الشيطان ضد القلوب فيفرقها والعلاقات فيمزقها، في غليانات شيطانية، وهيجانات إبليسية، إن أُرخي لها الزمام وأطلق لها الخطام قضت على حاضر الأمة، وإذا تنافر ودّ القلوب كُسرت زجاجات التواصل، وتمكن الشر في النفوس، وعاد الناس ذئابًا مسعورة ووحوشًا كاسرة: ﴿ **وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ**

وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ (الرعد: ٢٥)[1].

ولله فكم تقطعت من صلات، وكم نكثت من عهود، ونزلت في البيوت من ويلات، وكم أقيمت من قضايا، وفي المشافي من جراحات ورزايا، ناهيك عن ما في مراكز الشرطة والسجون من البلايا . . ولذا حرَّم الإسلام كل أشكال التقاطع والتدابر والتباغض، وكذا الحسد بين المسلمين.

وقال تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الحجرات: ٩-١٠).

وهذه آية أخرى تدعونا إلى أن نتقي الله ونسارع في رأب الصدع وإصلاح الخلل، ولا نتهاون في ذلك أو نتأخر حتى لا يستفحل الشرر، وينفخ فيه الشيطان سمومه، إن ترك ذلك ربما ينتهي الأمر بالتقاتل والاعتداء.

وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ (الأنفال: ٤٦).

---

(١) قاله الشيخ عبد الرحمن السديس - سدَّده الله تعالى -.

لقد اهتم الإسلام بموضوع الخلاف والتنازع؛ لأن المسلمين كغيرهم من البشر يقع منهم الخطأ والخلاف، ومن العسر اتحاد آرائهم وتوحُّد اتجاهاتهم، لهذا وضع الإسلام علاجًا للمنازعات والخلافات قبل وقوعها بتحريم كل أمر يؤدي إلى إفساد ذات البين بدءًا من المِرَاء والمشاحنة، مرورًا بالتدابر والتهاجر وانتهاءً بمرحلة الاعتداء والقتال.

وأوجب على المسلمين الإصلاح بين الناس والوقوف في وجه المعتدين لمنع الفرقة؛ لتبقى شجرة المحبة بين الناس مثمرة وارفة الظِّلال .. فإذا رأى المسلم فريقين متنازعين ساهم في حل الخلاف بينهما حسب قدرته وطاقته سواء على المستوى الفردي أو الاجتماعي سواء كان ذلك بين الإخوة أو الزوجين أو بين الأب وأولاده أو بين الأم وأبنائها أو بين أطراف الأسرة فيما بينها أو العائلة والعائلة الأخرى أو القبيلة والأخرى، أو الجماعة والجماعة الأخرى، أو حتى بين الشعوب المسلمة.

ولا يقتصر الإصلاح بين المسلمين، بل حتى مع غيرهم من الأمم. قال تعالى: **﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾** (الأنفال: ٦١).

كما اهتم الإسلام بالدعوة إلى الصلح بين أفراد الأسرة المسلمة عند وجود الخلافات الأسرية وبالأخص عند الزوجين؛ قال تعالى:

﴿وإنْ خفْتُمْ شقاق بيْنهما فابْعثُوا حكمًا مّنْ أهْله وحكمًا مّنْ أهْلها إن يُريدا إصْلاحا يُوفّق اللّهُ بيْنهُما﴾ (النساء: ٣٥).

فللإصلاح بين الناس منزلته الكبيرة وأثره الإيجابي بين الناس متعدد، إذ تنعكس نتائجه على المجتمع ككل، ثم على الأمة الإسلامية جميعًا. وبغير ذلك تزيد المشاكل، ويضعف المجتمع وتنهار القيم، ويسقط البعض في هاوية الجريمة.

ولهذا حرم الرسول ﷺ بعض المعاملات لمقاصد كثيرة؛ لأنها تؤدي إلى الكراهية والبغضاء بين المسلمين، ومن ذلك:

- «**لا يحل للمؤمن أن يبتاع على بيع أخيه حتى يذر**».
- «**نهى عن النجش**».
- «**نهى عن الغرر**».
- «**نهى عن صرار الغنم**».

وحرم الربا، والقمار، والخديعة، والغش في البيع، ونهى عن اللعب بالنرد، وإلحاق الضرر بالمسلمين.

وقال رسول الله ﷺ: «**إذا كان ثلاثة جميعًا فلا يتناجى اثنان دون الثالث**»[1].

(١) صحيح: رواه أحمد.

■ **وفي الأحوال الشخصية**: نهى المؤمن أن يخطب على خطبة أخيه حتى يذر. كما عد إفساد الزوجة على زوجها من الكبائر العظيمة ـ كما سيأتي لاحقًا ـ.

■ كما رغَّب في مكارم الأخلاق كالعفو والصفح والإحسان، وإقالة العثرات، وستر المسلم، وسلامة الصدر.

■ وشرع بعض الحقوق التي تجمع القلوب بين قلوب المسلمين كما جاء في الحديث: «**حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس**»[1].

وفي الصحيحين مرفوعًا: «**والذي نفسي بيده لا يؤمن عبدٌ حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»، وقال رسول الله ﷺ: «**من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة؛ فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه**»[2].

ويعتبر الإسلام كف الشر عن الناس نوع من الصدقة؛ ففي صحيح مسلم من حديث أبي ذر رضي الله عنه أنه سأل النبي ﷺ عن أعمال البر ثم قال: «قلت: يا رسول الله، أرأيت إن ضعفت عن بعض العمل؟» قال ﷺ: «**تكفُّ شرَّك عن الناس؛ فإنها صدقة منك على نفسك**».

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) «صحيح مسلم» (١٨٤٤).

■ وحرَّم سوء الأخلاق عمومًا وخص الغيبة والنميمة والسِّباب والعقوق والخيانة، والفضيحة بالنهي والذم والوعيد؛ لأن ضررها متعدي للغير.

وما ذاك إلا حفاظًا على سلامة الصدور والأنفس من الفساد؛ لأن فسادها يتبعه فساد ذات البين .. عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**سيصيب أمتي داء الأمم: الأشر والبطر والتكاثر والتشاحن في الدنيا والتباغض والتحاسد حتى يكون البغي**»[1].

لذا حثَّ الإسلام على الأمور التي تدعو إلى وصال المسلمين بعضهم إلى بعض، ودعاهم إلى التقارب والمحبة والتراحم والبر، بل وجعل مساعدة المسلم لأخيه المسلم نوع من الصدقات، ورغب في الكسب المبرور الذي لا خلابة فيه.

لقد رغب الإسلام في إصلاح ذات البين ورفع من درجتها على لسان النبي ﷺ؛ عن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أُخبركم بأفضلَ من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟**»، قالوا: بلى، قال: «**إصلاحُ ذاتِ البينِ؛ فإنَّ فسادَ ذاتِ البينِ هي الحالقةُ**»[2].

---

(1) رواه الحاكم وحسنه الألباني في «صحيح الجامع».

(2) رواه أبو داود، والترمذي، وابن حبان، وصححه العلامة الألباني ـ رحمه الله ـ في «صحيح الترغيب» (٢٨١٤).

■ ونهاهم عن قطيعة الرحم، والعقوق، وسوء العشرة بين الأزواج والأصحاب، وما ذاك إلا لصفاء القلوب وتلاحم النفوس، وحتى يكون المسلم على خلق قويم، ولتكون الأسرة قوية، والمجتمع المسلم متلاحم، وحتى يصدق فيهم قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (الحجرات: ١٠)، وقول النبي ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر**».

■ وعندما جاء الإسلام أطفأ نار العداوات التي كانت في الجاهلية حتى تتألف الناس بعد أن كانوا أعداء فألف الله بين قلوبهم، مصداقًا لقول الله تعالى: ﴿ **وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** ﴾ (آل عمران: ١٠٣).

■ وحذَّر الله سبحانه المسلمين من التشبه بالأمم السابقة الذين اختلفوا في الدين وتفرقوا في فهمه شيعًا وأحزابًا متناحرة؛ قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ (آل عمران: ١٠٥)، وقال ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ **فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ** ﴾ (المؤمنون: ٥٣).

وهذه الرسالة محاولة مني بتذكير المسلمين بواجبهم تجاه البعض برأب الصدع ولمِّ الشمل، وحتى تعود المياه إلى مجاريها، فتعود

الأسرة المسلمة متقاربة متعاونة، وتعود الحياة الزوجية إلى روح المحبة والألفة وحسن العشرة، ويعود الأخ إلى إخوانه يحبهم ويحبونه، ويعود الأب بارًا بأبنائه، والأبناء إلى آبائهم بالإحسان، والجار يحسن إلى جاره، كلٌّ يعرف ما له وما عليه تجاه الغير من الحقوق والواجبات.

وأنت ـ رعاك الله ـ أملي بك كبير في المشاركة في إصلاح ذات البين للتقليل من الخصومات والمشكلات والقضايا في المحاكم، وبين يديك هذه الرسالة معروضة عليك لك غُنْمها، وعليَّ غُرْمها، فما وجدت فيها من خير وصواب فلله الحمد، هو الهادي وله الفضل والثناء.

وأسأل الله سبحانه أن يجمع قلوب المسلمين بعضهم إلى بعض، فيتواصلون ويتقاربون، ويزول عنهم التباغض والتشاحن والتقاطع وكل أمر يؤدي إلى إفساد ذات البين.

وأسأل الله سبحانه أن يجعل عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم، وأن يغفر لي ولوالديَّ ولجميع المسلمين، إنه ولي ذلك والقادر عليه .. والحمد لله رب العالمين.

كتبه

أبو الحارث خالد الخراز

الكويت ـ الفيحاء ـ ١٤٢٧هـ



معنى إصلاح ذات البين

«الإصلاح» لغة: ضد الفساد، وأصلح الشيء بعد فساده: أقامه، والصلحُ: تصالُحُ القوم بينهم، قال تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ** ﴾ (البقرة: ٢٢٠).

«الإصلاح» اصطلاحًا: مأخوذٌ من الصلح: وهو عقدٌ يرفع النزاع بين الخصوم وهو بمعنى المصالحة، وهو المُسَالمةُ خلاف المخاصمة، وأصلُهُ من الصلاحِ وهو ضد الفساد.

و**«البين»**: البُعْد والفراق، وكأنه يقول إزالة أسباب الخلاف.

إصلاح ذات البين في ظلال الآيات القرآنية

كثيرة هي الآيات الكريمة التي تدعونا إلى الإصلاح عمومًا وخصوصًا، وما يأتي ذكره خاص بإصلاح ذات البين بين الناس على مستوى الأفراد أو الأسر أو الجماعات:

■ قال الله تعالى: ﴿ **وَلا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ (البقرة: ٢٢٤).

في هذه الآية الكريمة ينهى الله ـ سبحانه وتعالى ـ عباده المؤمنين أن يجعلوا الحلف به سببًا مانعًا عن فعل الخير، أي: لا تجعلوا

اليمين حائلة وعــرضة عن فعل الخيــر، كأن يحلف أحدكم أن لا يتــصدق، أو لا يصــل رحمــه، أو لا يبــر أهله أو لا يصلح بين الناس، بل كَفِّروا عن أيمانكم وافعلوا الخير.

▪ قال ـ عَــزَّ وجَلَّ ـ: ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ١١٤).

وفي هذه الآية الكريمة يبين الله لنا بأنه لا خير في كثير مما يسره الناس في أحاديثهم ويتناجــون به في الخفاء إلا ﴿أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾ إلا في نجــوى من أمــر بصــدقــة، ﴿أَوْ مَعْــرُوفٍ﴾ أي: بطاعــة الله سبــحانه، وكل أعمال البــر من المعروف، ﴿أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ قــال الإمــام الســعــدي: «الإصــلاح لا يكــون إلا بين مــتنازعين متخاصمين، والنزاع والخصام والتغاضب يوجب من الشر والفرقة ما لا يمكن حصــره، لذلك حث الشارع على الإصلاح بين الناس في الدماء والأموال والأعراض، بل وفي الأديان».

▪ قال ـ سبــحانه وتعالى ـ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال: ١).

قال الإمام السعدي: «في قوله ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ أي: أصلحوا ما بينكم من التشاحن والتقاطع والتدابر بالتواد والتحاب والتواصل، فبذلك تجتمع كلمتكم، ويزول ما يحصل - بسبب التقاطع - من التخاصم والتشاجر والتنازع. ويدخل في إصلاح ذات البين: تحسين الخُلُق لهم، والعفو عن المسيئين منهم فإنه بذلك يزول كثير مما يكون في القلوب من البغضاء والتدابر والأمر الجامع لذلك كله»[1].

قلت: فلا يجوز الانطلاق إلى أمر جلل إلا عندما نكون على قلب رجل واحد، وكيف يكون ذلك ونحن متخاصمون.

■ قال تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الحجرات: ٩).

قال الحافظ ابن كثير: «يقول تعالى آمراً بالإصلاح بين المسلمين الباغين بعضهم على بعض، وبهذا استدل البخاري وغيره على أنه لا يخرج من الإيمان بالمعصية وإن عظمت، لا كما يقول الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة ونحوهم، وهكذا ثبت في (صحيح البخاري) عن أبي بكرة أن رسول الله ﷺ خطب يومًا ومعه على

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (٢٧٧).

المنبر الحسن بن علي رضي الله عنه، فجعل ينظر إليه مرة وإلى الناس أخرى ويقول: «**إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**»، فكان كما قال - صلوات الله وسلامه عليه -، أصلح الله به بين أهل الشام وأهل العراق بعد الحروب الطويلة والواقعات المهولة»[1].

وقال السعدي: «هذا متضمن لنهي المؤمنين عن أن يبغي بعضهم على بعض، ويقتل بعضهم بعضا، وأنه إذا اقتتلت طائفتان من المؤمنين، فإنَّ على غيرهم من المؤمنين أن يتلافوا هذا الشر الكبير بالإصلاح بينهم، والتوسط على أكمل وجه يقع به الصلح، ويسلكوا الطريق الموصلة إلى ذلك؛ فإن تصالحتا فبها ونعمت، أي: ترجع إلى ما حدَّد الله ورسوله، من فعل الخير وترك الشر الذي من أعظمه الاقتتال. وقوله ﴿**فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا**﴾ هذا أمر بالصلح، وبالعدل في الصلح، فإن الصلح قد يوجد ولكن لا يكون بالعدل، بل بالظلم والحيف على أحد الخصمين، فهذا ليس هو الصلح المأمور به، فيجب أن لا يُراعى أحدهما لقرابة أو وطن أو غير ذلك من المقاصد والأغراض التي توجب العدول عن العدل، ﴿**وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾ أي: العادلين في

(١) «تفسير ابن كثير» (٧/ ٣٥٢).

حكمهم بين الناس وفي جميع الولايات التي تولوها، حتى إنه قد يدخل في ذلك عدل الرجل في أهله وعياله في أداء حقوقهم»[1].

■ وقال تعالى: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (النساء: ١٢٨).

قال السعدي: «إذا خافت المرأة نشوز زوجها، أي: ترفعه عنها وعدم رغبته فيها وإعراضه عنها، فالأحسن في هذه الحالة أن يصلحا بينهما صلحًا، بأن تتنازل المرأة عن بعض حقوقها لزوجها، على وجه تبقى مع زوجها، إما أن ترضى بأقل من الواجب لها من النفقة أو الكسوة أو المسكن أو القَسْم، بأن تسقط حقها منه، أو تهب يومها وليلتها لضرتها.

فإذا اتفقا على هذه الحالة فلا جناح عليهما فيها، لا عليها ولا على الزوج، فيجوز حينئذ لزوجها البقاء معها على هذه الحال، وهي خير من الفرقة، ولهذا قال: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾، ويؤخذ من عموم هذا اللفظ والمعنى أن الصلح بين من بينهما حق مختلف عليه أو منازعة في جميع الأشياء، أنه خير من استقصاء كل منهما لحقِّه لما فيه من الإصلاح، وبقاء الألفة والاتصاف بصفة السماح.

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (٧٤٤).

وهو جائز في جميع الأشياء، إلا إذا أحلَّ حرامًا أو حرَّم حلالاً، فإنه لا يكون صلحًا، وإنما يكون جورًا، واعلم أن كل حكم من الأحكام لا يتم ولا يكمل إلا بوجود مقتضيه وانتفاء موانعه، فمن ذلك هذا الحكم الكبير الذي هو الصلح[١].

الأحاديث النبوية وإصلاح ذات البين

عندما قدم النبي ﷺ المدينة كان من أوائل ما صنع: تقريب قلوب الصحابة، فجعلهم أخوة في الله، وآخى بين المهاجرين والأنصار، وكانت أقوال النبي ﷺ تركز على الأُخوة الإيمانية والتقارب بين الإخوان والجيران والأزواج والأبناء والآباء، وتدعو إلى الإصلاح بين الناس.

١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«كلُّ سُلامى من الناس عليه صدقةٌ كلَّ يوم تَطلُعُ فيه الشمسُ، يَعدِلُ بين الاثنين صدقةٌ»**[٢]. قوله **«يَعدِلُ بين الاثنين»** أي: يصلح بينهما بالعدل.

٢ - عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ألا أُخبركم بأفضلَ من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟»** قالوا: بلى، قال: **«إصلاحُ ذاتِ البينِ، فإنَّ فسادَ ذاتِ البينِ هي الحالقةُ»**[٣].

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (١٧٠).
(٢) رواه البخاري ومسلم.
(٣) سبق تخريجه.

هذا الحديث فيه بيان درجة إصلاح ذات البين، بأنها من أفضل الأعمال عند الله ـ سبحانه وتعالى ـ، وفيه استفهام للتنبيه على أهمية الأمر: «**ألا أخبركم بأفضل ..**» أي: بدرجة هي أفضل «**من درجة الصيام والصلاة والصدقة**» أي: المستمرات أو الكثيرات، قالوا: أخبرنا به، قال: «**إصلاحُ ذاتِ البينِ**» أي: إصلاح أحوال البين حتى تكون أحوالكم أحوال صُحبَة وأُلفة، أو هو إصلاح الفساد والفتنة التي بين القوم، «**فإنَّ فسادَ ذاتِ البينِ هي الحالقةُ**» أي: الخصلة التي من شأنها أن تحلق ـ أي: تهلك وتستأصل ـ الدين، كما يستأصل الموسى الشعر.

أو المراد المزيلة لمن وقع فيها لما يترتب عليه من الفساد والضغائن، وذلك لما فيه من عموم المنافع الدينية والدنيوية من التعاون والتناصر والألفة والاجتماع على الخير حتى أبيح فيه الكذب، وكثرة ما يندفع من المضرة في الدنيا والدين بتشتت القلوب، ووهن الأديان من العداوات وتسليط الأعداء، وشماتة الحساد، فلذلك صارت أفضل الصدقات[1].

---

(١) «فيض القدير» (٣/١٠٦) للمناوي.

٣ - وعن الزبير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «دَبَّ إليكم داءُ الأمم قبلكم: الحسد والبغضاء: هي الحالقةُ؛ حالقةَ الدين لا حالقة الشعر. والذي نفس محمد بيده، لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تَحَابُّوا، أفلا أُنبِّئُكم بشيءٍ إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»[1].

والحسد والبغضاء دهليز إفساد ذات البين، والبغضاء هذا المرض الذي كان أحد أمراض الأمم السابقة التي سرت عدواها إلى الأمة الإسلامية، وهذا المرض من شأنه أنه يستأصل الدين كما يستأصل الموسى الشعر.

ــــ * ❊ * ــــ

(١) رواه أحمد، والترمذي، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٣٦١).

من فضائل إصلاح ذات البين

أنتقل بكم إلى بستان الفضائل ومنتجع الشرف، وإلى رياض الجنة التي من دخل بها سعد، ومن ظفر بها حمد، إنها فضائل إصلاح ذات البين:

١ ـ من أفضل القربات والأعمال وأعلاها عند الله تعالى:

■ قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ (الأعراف: ١٧٠).

قال السعدي: «لما كان عملهم كله إصلاحًا قال تعالى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ في أقوالهم وأعمالهم ونيَّاتهم، مُصلِحِينَ لأنفسهم ولغيرهم»[١].

■ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما عُمل شيءٌ أفضل من الصلاة، وصلاح ذات البين، وخُلُقٍ جائزٍ بين المسلمين»**[٢].

وهذا الحديث يدعو العقلاء إلى الظفر بجماع المكارم؛ لأنها من أفضل الأعمال وأعلاها عند الله سبحانه، فمن كان سببًا في فساد

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (٣٩٨).

(٢) أخرجه البخاري في «التاريخ»، وقال شيخنا الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٨١٦): «سنده حسن».

ذات البين فعليه بالتوبة والظفر بهذه المكارم، وهنيئًا لمن كان مفتاحًا للخير لصلاح ذات البين.

■ وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟»** قالوا: بلى، قال: **«إصلاحُ ذات البينِ، فإنَّ فسادَ ذات البينِ هي الحالقةُ»**[1].

٢ ـ *الأجر العظيم في الإصلاح بين الناس:*

■ قال تعالى: ﴿ **لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ (النساء: ١١٤).

٣ ـ *إصلاح ذات البين أفضل الصَّدقة:*

■ عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«أفضل الصدقة: إصلاحُ ذات البين»**[2].

قال المناوي: «إصلاح الفساد بين القوم وإزالة الفتنة وإسكان الثائرة، والمستلزم إحياء النفوس غالبًا، وهي من حيث عموم نفعها أفضل من صدقة نفعها قاصر، ومن ذلك لو كان بين طائفتين فتنة فتحمل رجل مالاً ليصلح بينهم أو أخذ من الميسورين لذلك».

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه الطبراني، والبزار، وقال الألباني: «صحيح لغيره» كما في «صحيح الترغيب» (٢٨١٨).

قلت: وليس هذا فحسب، أو تكفل رجل بسداد دين كان سببًا لنزاع، أو إصلاح بين متبايعين أو شفاعة، أو نحو ذلك؛ فإن ذلك من أفضل الصدقة، وقد حصل ذلك بالجاهلية، فكيف لا يكون بالإسلام.

٤ ـ صدقة يحبها الله تعالى، ويحبها رسوله ﷺ:

■ عن أبي أيوب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يا أبا أيوب، ألا أدلُّكَ على صدقةٍ يُحبُّها الله ورسولُه؟ تُصلحُ بين الناس إذا تباغضوا وتفاسدوا»**[1].

ولفظ الأصبهاني: قال رسول الله ﷺ: **«ألا أدلك على صدقةٍ يحبُّ الله موضعها؟»**، قال: قلت: بلى، بأبي أنت وأمي، قال: **«تُصلحُ بين الناس، فإنها صدقةٌ يُحبُّ الله موضعها»**[2].

٥ ـ إصلاح ذات البين من أفضل التجارة:

■ عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لأبي أيوب: **«ألا أدلُّك على تجارةٍ؟»**، قال: بلى، قال: **«صل بين الناس إذا تفاسدوا، وقرِّب بينهم إذا تباعدوا»**[3].

---

(١) رواه الطبراني، والأصبهاني، وقال الألباني: «حسن لغيره» كما في «صحيح الترغيب» (٢٨٢٠).

(٢) انظر تخريجه في «الصحيحة» (٢٦٤٤).

(٣) رواه البزار، وقال الألباني: «حسن لغيره».

٦ ـ كسب رضى الله سبحانه ورضى رسوله ﷺ:

■ عن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لأبي أيوب: **«ألا أدلُّك على عملٍ يرضاه الله ورسوله؟»، قال: بلى، قال: «صِلْ بين الناس إذا تفاسدوا، وقرِّب بينهم إذا تباعدوا»**[1].

هذا فضل عظيم ودرجةٌ رفيعة عالية للمحسنين الذين يصلون بين الناس إذا تفاسدوا، ويقربون بينهم إذا تباعدوا، فأيُّ عمل أفضل من هذا؟

■ ومن أراد أن يَحُلَّ عليه رضوان الله سبحانه ومحبته فعليه بصلاح ذات البين. قال الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ: «رضوان الله إنما يكون للمحسنين، والعفو يشبه أن يكون من المقصرين».

٧ ـ إصلاح ذات البين من عمل الأشراف:

إصلاح ذات البين من صنيع العظماء الأكابر، السادة الأشراف، ينابيع الفضيلة، أهل الصبر الأتقياء، السائرين على طريق السلف، مفاتيح الخير ومغاليق الشر.. فكن مثلهم تفز.

■ عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ من الناس ناساً مفاتيح للخير مغاليق للشر، وإنَّ من الناس ناساً مفاتيح للشر مغاليق**

(١) رواه الطبراني، وقال الألباني: «حسن لغيره».

للخير، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه»[١] .

ويكفي المصلح شرفًا أنه مـفتاحٌ للخير مـغلاقٌ للشر ينصح ولا يفضح، ويجمع ولا يفرق، يقرب القلوب ويشيع المحبة، ويُسمَّى بين الناس مُحسنًا ومُصلحًا؛ ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (آل عمران: ١٣٤).

■ قال الناظم:

وإذا أردت منـازل الأشــــراف ■■■ فعليك بالإسعاف والإنصافِ

وإذا بغى باغٍ عليك فـــخلّه ■■■ والدّهر فهو له مكافٍ كافِ

■ وأحسن الآخر فقال:

إن المكارم كلها لو حصلت ■■■ رجعت جملتها إلى شيئين

تعظيم أمـر الله جَل جَـلاله ■■■ والسَّعي في إصلاح ذاتِ البَينِ

٨ - *إصلاح ذات البين من كمال الإيمان:*

■ قال تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (الأنفال: ١).

---

(١) رواه ابن ماجه، وحسنه الألباني.

ثمرات الإصلاح بين المسلمين

١ ـ إحلال الأُلفة مكان الفُرقة بين المتَنَازِعين.

٢ ـ استئصال داء النِّزاع قبل أن يستفحل فيصعب حلُّه.

٣ ـ حقن الدِّماء التي تُراق بين الطوائف المتَنَازعة.

٤ ـ توفير الأموال التي تُنفق للوُكَلاء والمُحَامين بالحق وبالباطل، وتوفير النَّفقات الأخرى.

٥ ـ تجنب إنكار الحقائق الذي تجر إليه الخُصومات وترك شهادة الزور.

٦ ـ تجنب المشاجرات والاعتداء على الحقوق الذي قلَّ ما يسلم منه مُتَخاصمان.

٧ ـ تفرُّغ النفوس للمصالح بدل جدها وانهماكها في الكيد للخصوم.

٨ ـ رحمة الله لعباده المصلحين والمُتصالحين.

٩ ـ صيانة الوقت عن ضياعه فيما يَضُرُّ أو فيما لا نفع فيه.

١٠ ـ تعويد الناس على أن يُبَرِّئ كل منهم ذمة الآخر وأن يؤثر المصالحة ببعض حقه على كل حقه بالخصومة[١].

---

(١) «الصلح في الإسلام» (٧٥).

مخاطر ترك الإصلاح بين الناس

- سببٌ لهلاك الأمم.
- كثرة المشكلات.
- زيادة نسبة الطَّلاق.
- تَفكك الأُسَرِ وقَطِيعَة الرَّحم.
- شَغْل المَحَاكم ومراكز الشُّرطة والمُستشفيات والسُّجون.
- ظهور الأحزاب والنِّحل.
- الأعباء المالية على الأفراد والدولة.

الترهيب من القطيعة والتهاجر والتدابر وفساد ذات البين

اعلم ـ رعاك الله أيها الودود ـ جعل الله النص الشرعي حاكمًا لك وعليك، والحق قائدًا لك وإليك، أنَّ القطيعة والهجر والتدابر وفساد ذات البين حرامٌ، وإليك جملة من النصوص الشرعية نسوقها ذكرى لكل معتبر، وعظة لمن هجر، ولمن خاصم وفجر، ولمن سعى في القطيعة وإفساد ذات البين، وفي ذلك عبرة للمعتبرين، وذكرى للذاكرين.

نسأل الله أن يصلح الأحوال، إنه الهادي إلى سواء السبيل.

١ - تحريم الهجر

■ عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تقاطعوا ولا تدابَرُوا، ولا تَبَاغضُوا، ولا تَحَاسَدُوا، وكُونُوا عباد الله إخوانًا، ولا يَحِلُّ لمُسلم أن يهجر أخاهُ فوق ثلاث»**[(١)].

قال ابن عبد البر: «وفي هذا الحديث من الفقه: أنه لا يحل التباغض؛ لأن التباغض مفسدةٌ للدين، حالقةٌ له، ولهذا أمر ﷺ بالتواد والتحاب حتى قال: **«تَهَادَوْا تَحَابُّوا»** . . . ، وكذا لا يحل التدابر، والتدابر: الإعراض وترك الكلام والسلام ونحو هذا، وإنما قيل للإعراض تدابر؛ لأن من أبغضته أعرضت عنه، ومن أعرضت عنه وليته دبرك، وكذلك يصنع هو بك، ومن أحببته أقبلت عليه وواجهته، لتسُرَّهُ ويسُرَّك، فمعنى: تدابروا وتقاطعوا وتباغضوا معنى مُتداخلٌ مُتَقاربٌ، كالمعنى الواحد في الندب إلى التواخي والتحاب، فبذلك أمر رسول الله ﷺ في معنى هذا الحديث وغيره، وأَمْرُ رسول الله ﷺ على الوجوب حتى يأتي دليل يخرجه إلى معنى الندب، وهذا الحديث وإن كان ظاهره العموم فهو عندي مخصوص بحديث كعب بن مالك، حيث أمر رسول الله ﷺ أصحابه أن يهجروه ولا يكلموه هو

---

(١) رواه مالك، والبخاري، وغيرهما.

وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع؛ لتخلفهم عن غزوة تبوك، حتى أنزل الله - عَزَّ وجَلَّ - توبتهم وعُذْرهم، فأمر رسول الله ﷺ أصحابه أن يُراجعوهم الكلام»[١].

■ وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«لا يَحلُّ لمُسلم أن يهجُر أخاه فوق ثلاث ليالٍ، يَلْتَقيان فَيُعرِضُ هذا ويُعرِضُ هذا، وخَيرُهُما الذي يَبدأُ بالسلام»**[٢].

- ومعنى الهجر في الحديث ضد الوصل، بترك الشخص السلام والكلام إذا تلاقيا، وإعراض كل واحد منهما عن الآخر.

٢ - دخوله النار

■ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يَحلُّ لمُسلم أن يهجُر أخاه فوق ثلاث ليالٍ، فمن هَجَر فوق ثلاثٍ فماتَ؛ دَخَلَ النَّار»**[٣].

■ وعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: **«من هجر أخاه فوق ثلاثٍ؛ فهو في النار، إلا أنَّ يتداركهُ الله برحمته»**[٤].

---

(١) «التمهيد» (٦/ ١١٦-١١٧) لابن عبد البر.
(٢) رواه مالك، والبخاري، ومسلم.
(٣) رواه أبو داود، والنسائي، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٧٥٧).
(٤) رواه الطبراني، وقال الألباني: حسن لغيره.

■ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يَحِلُّ الهجرُ فوقَ ثلاثة أيام؛ فإن التَقَيا فسلَّم أحَدُهُما على الآخر، فردَّ عليه الآخرُ السَّلام؛ اشتركا في الأجر، وإن أبى الآخر أن يرد السَّلام برئ هذا من الإثم، وباء به الآخرُ، وقد حسبت إن ماتا وهما مُتهاجران أن لا يجتمعا في الجنة**»[1].

هل وقف المخاصم عند هذه النصوص ورجع وتدبَّر وأعاد النظر وفكر؟ إنه واقع في كبيرة من الكبائر، فمن هجر أخاه «**دَخَلَ النَّار**» على لسان النبي ﷺ - نعوذ بالله من النار -، «**إلا أنْ يتداركهُ الله برحمته**»، «**لا يجتمعا في الجنة**» !! ما أشد هذا الترهيب، نسأل الله السلامة.

٣ - استحقاقه الإثم

■ عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يكونُ لمسلم أن يهجر مسلمًا فوق ثلاثة أيام؛ فإذا لقيهُ سلَّم عليه ثلاث مرار؛ كلُّ ذلك لا يردُّ عليه، فقد باءَ بإثمه**»[2].

٤ - تحقيق مراد الشيطان

■ عن جابر رضي الله عنه قال: سمعتُ النبي ﷺ يقول: «**إنَّ الشَّيطانَ قد أَيِسَ أن يَعْبُدَهُ المُصَلُّونَ في جزيرةِ العربِ، ولكن في التَّحريش**

---

(١) رواه الطبراني في «الأوسط»، والحاكم وقال: صحيح الإسناد، وصححه الألباني.
(٢) رواه أبو داود، وصححه الألباني.

بينهم»[١]. والتحريش: إغراء بعضهم على بعض مع إثارة الفتن والحروب والشحناء والخصومات بينهم؛ فيتقاطعون ويتنازعون ويتقاتلون .. نعوذ بالله من كيد الشيطان وحزبه.

٥ـ تأخير أعمال المشاحن المفسد لذات البين

▪ عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **«تُفتحُ أبوابُ الجنَّة يوم الاثنين ويوم الخميس، فيُغفرُ لكُلِّ عبدٍ مسلمٍ لا يُشركُ بالله شيئًا، إلا رجُلاً كانت بينهُ وبين أخيه شَحناءُ، فيقالُ: أنظروا هذين حتى يَصطلِحا، أنظروا هذين حتى يَصطلِحا»**[٢].

▪ عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«تُعرض الأعمال في كل اثنين وخميس، فيغفر الله لكُلِّ امرئٍ لا يُشركُ بالله شيئًا، إلا امرءًا كانت بينه وبين أخيه شَحناءُ، فيقول: اتركوا هذين حتى يَصطلِحا»**[٣].

٦ـ له إثم عقوبة سفك الدم

▪ عن أبي خراش الأسلمي ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **«مَن هَجرَ أخاهُ سَنَةً كَسفْكِ دمِه»**[٤].

---

(١)،(٢)،(٣) رواها مسلم.

(٤) رواه أبو داود، والبيهقي، وصححه الألباني.

٧ـ حرمانه المغفرة

■ عن أبي ثعلبة ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «**يطَّلعُ الله إلى عباده ليلةَ النصف من شعبان، فيغفر للمؤمنين ويُمهل الكافرين، ويدعُ أهل الحقد بحقدهم حتى يدعوه**»(١).

■ وعن أبي موسى الأشعري ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**يطَّلعُ الله إلى جميع خلقه ليلة النصف من شعبان، فيغفرُ لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن**»(٢). المشاحن: قيل تهاجر الأقران، وقيل: المبتدع. والشحناء من شحن قلبه بُغضًا؛ أي ملأه كُرهًا لأخيه، وهذه عقوبة أخرى بحرمانه المغفرة.

٨ـ لا ترفع صلاته

■ عن ابن عباس ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «**ثلاثةٌ لا ترتفعُ صلاتهم فوق رُؤوسهم شبراً: رجلٌ أَمَّ قوماً وهم له كارهون، وامرأةٌ باتت وزوجها عليها ساخطٌ، وأخوانِ متصارمان**»(٣).

٩ـ لعنة الله له وطرده من رحمته

■ قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ

---

(١) رواه الطبراني، والبيهقي، وصححه الألباني.

(٢) رواه ابن ماجه، وصححه الألباني.

(٣) حسن رواه ابن ماجه، وابن حبان في «صحيحه».

الدار﴾ (الرعد: ٢٥). قال الإمام السعدي - رحمه الله تعالى -: «لم يصلوا ما بينهم وبين ربهم بالإيمان والعمل الصالح، ولا وصلوا الأرحام ولا أدوا الحقوق، بل أفسدوا في الأرض بالكفر والمعاصي والصد عن سبيل الله وابتغائها عوجًا»[١].

■ قال سبحانه: ﴿**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ**﴾ (محمد: ٢٢-٢٣).

■ وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يدخل الجنة قاطع**»[٢].

قال الإمام النووي: «هذا الحديث له تأويلان: أحدهما - حمله على من يستحل القطيعة بلا سبب، ولا شبهة مع علمه بتحريمها، فهذا كافر يخلد في النار ولا يدخل الجنة أبدًا. والثاني - معناه ولا يدخلها في أول الأمر مع السابقين، بل يُعاقبُ بتأخُّره القدر الذي يُريدُهُ الله تعالى»[٣].

* * *

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (٤/ ١٠٦).
(٢) رواه مسلم، وأبو داود، والترمذي.
(٣) النووي (١٦/ ١١٤-١١٣).

فصل
مشروعية الهجر الجميل

■ قال الله تعالى: ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ (المزمل: ١٠).

قال السعدي: «فلما أمره الله بالصلاة خصوصًا وبالذكر عمومًا، وبذلك تحصل للعبد مَلَكَةٌ قوية في تحمُّل الأثقال، وفعل الشَّاق من الأعمال أمره بالصبر على ما يقوله المعاندون له ويسبُّونه ويسبُّون ما جاء به، وأن يمضي على أمر الله لا يصدُّه عنه صَادّ ولا يردُّه راد، وأن يهجرهم هجرًا جميلاً، وهو الهجر حيث اقتضت المصلحة الهجر الذي لا أذية فيه، بل يعاملهم بالهجر والإعراض عن أقوالهم التي تؤذيه، وأمره بجدالهم بالتي هي أحسن»[1].

قلت: الأصل في الهجر بين المسلمين المنع والحرمة، إلا أنه عُفي عنه في الثلاث.

قال الحافظ ابن حجر: «ظاهر الخبر إباحة ذلك - أي الهجر - في الثلاث، وهو من الرفق؛ لأن الآدميَّ في طبعه الغضبُ وسوءُ الخلق ونحو ذلك، والغالب أنه يزول أو يقل في الثلاث»[2].

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (٧٢٨).
(٢) «فتح الباري» (١٠/ ٤٩٥).

قلت: والهجر لحق الله تعالى غير محدد بوقت، وإنما هو معلقٌ على وجود سببه، فمتى زال السبب زال الهجر، وقد يطول الهجر فترة طويلة دون غرض شرعي مما يجعل المتهاجرين لا يجتمعان على خير أبدًا، وقد يصل الأمر إلى تعييب خصمه ثم لعنه كأنَّهُ يسفك دمه، وهذا حرامٌ وكبيرةٌ من الكبائر.

- ولكن يشرع الهجر لله تعالى على وجه التأديب؛ ودليله هجر الزَّوج لزوجته عند إظهار النُّشُوز بقوله تعالى: ﴿**واهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ**﴾ (النساء: ٣٤)، وكذلك هجر المُخالف لسنة النبي ﷺ.

قال أبو داود: «إذا كانت الهجرة لله فليس من هذا بشيء، فإن النبي ﷺ هجر بعض نسائه أربعين يومًا، وابن عمر هجر ابنًا له إلى أن مات».

▪ عن عائشة أم المؤمنين ﵂ قالت: أنه اعتَلَّ بعيرٌ لصفية بنت حُيَيّ، وعند زينب فضلُ ظهر، فقال النبي لزينب: «**أعطيها بعيرًا**»، فقالت: أنا أُعطي تلك اليهودية؟! فغضب رسول الله، فهجرها ذا الحجة والمحرم وبعض صفر[1].

(١) رواه أبو داود، وحسنه الألباني.

■ وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**لا يمنعنَّ رجلٌ أهله أن يأتوا المساجد**»، فقال ابنٌ لعبد الله بن عمر: فإنا نمنعهن، فقال عبد الله: «**أحدثك عن رسول الله، وتقول هذا؟**» قال (الراوي): فما كلمه عبد الله حتى مات[1].

قلت: وفي حديث كعب بن مالك في قصة الثلاثة الذين خُلِّفُوا دليل على مشروعية التأديب. قال ابن عبد البر: «وفي حديث كعب هذا دليل على أنه جائز أن يهجر المرءُ أخاه إذا بدت منه بدعةٌ أو فاحشة، يرجو أن يكون هجرانهُ تأديبًا له وزجرًا عنه»[2].

تنبيه: قال العلامة ابن القيم: «وفي القصة دليل على هجران الإمام والعالم والمطاع، لمن فعل ما يستوجب العتب، ويكون هجرانه دواءً له؛ بحيث لا يضعف عن حصول الشفاء به، ولا يزيد في الكمية والكيفية عليه فيهلكه، إذ المرادُ تأديبه لا إتلافه»[3].

قلت: ولك أن تنظر كتاب «الهجر في الكتاب والسنة» للأخ الشيخ المحقق مشهور حسن سليمان، فإنه توسع في هذا الباب وأفاد وأجاد ـ سدده الله تعالى ـ.



(١) رواه أحمد بسند صحيح.
(٢) «التمهيد» (٦/١١٨).
(٣) «زاد المعاد».

من أسباب العداوة والقطيعة وفساد ذات البين

١ ـ سوء الأخلاق:

ومن سوء الأخلاق:

١ ـ عقوق الوالدين.

٢ ـ إيذاء الجار.

٣ ـ أكل حقوق الآخرين والإضرار بهم.

٤ ـ الظلم والشح.

٥ ـ المزاح المذموم.

وهو المزاح المحرم الذي يخرج به الممازح عن حد الشريعة بالكذب أو السخرية أو الترويع، والأصل في المزاح أنه مباح، غير أن جماعة من العلماء كره الخوض في المزاح لما فيه من ذميم العاقبة، ومن التوصل إلى الأعراض واستجلاب الضغائن وإفساد الإخاء، وكم من صديقين افترقا بسبب المزاح المذموم.

■ قال حسام الدين الواعظي المتوفى سنة ٩٩٠هـ:

واحذر من المزح كم في المزح من خطر

كم من صديقين بعد المزح فاختصما

■ وقال الناظم:

مازح صديقك ما أحب مزاحا ■■■ وتوق منه في المزاح مزاحا

فلربما مزح الصديق بمزحه ■■■ كانت لباب عداوة مفتاحا

٢ ـ *تأخير توزيع الميراث دون مبرر:*

الميراث حق شرعي للورثة يتفاوت بعض الناس في الحاجة إليه، فتارة يتأخر توزيعه ضرورة أن بعض الورثة محتاج إليه كالأخت التي بقيت في بيت أبيها ولم تتزوج ولا تملك المال ولا تجد لها مأوى غيره، وتارة يتأخر توزيع الميراث تكاسلاً، أو أن بعض الورثة عنده شيء من العناد، ونحو ذلك.

«وكلما تأخر قسم الميراث وتقدم العهد عليه؛ شاعت العداوة والبغضاء بين الأقارب، فهذا يريد حقه من الميراث ليتوسع به، وهذا آخر يموت ويتعبُ من بعده في حصر الورثة، وجمع الوكالات حتى يأخذوا نصيبهم من مورثهم، وذاك يسيء الظن بهذا، وهكذا تشتبك الأمور، وتتأزم الأوضاع وتكثر المشكلات فتحل الفرقة وتسود القطيعة»[1].

---

(١) «رسائل في التربية والأخلاق والسلوك» (٦٧) للحمد.

٣ - النميمة:

النميمة هي نقل كلام بعض الناس لبعض؛ للإضرار بهم وإيقاع العداوة بينهم، وفالع ذلك من شرار الناس، ويقال له نمام أو قتات.

■ عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ أحبكم إليَّ أحاسنكم أخلاقًا، الموطَّؤون أكنافًا، الذين يألفونَ ويؤلفون. وإن أبغضكُم إليَّ المشَّاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، الملتمسونَ للبُرآء العيبَ»[1].

■ قال الأعشى:

ومن يطع الواشين لا يتركوا له ■■■ صديقًا وإن كان الحبيب المُقَرَّبَا

٤ - الشراكة بين الأقارب في التجارة:

عدم كتابة الحقوق للمتشاركين في التجارة مدعاة للنزاع مستقبلاً، فكثيرًا ما يشترك بعض الإخوة أو الأقارب في مشروع أو شركة ما، دون أن يتفقوا على أسس ثابتة، ودون أن تقوم الشركة على الوضوح والصراحة، بل تقوم على المجاملة وإحسان الظن.

فإذا ما زاد الإنتاج واتسعت دائرة العمل دب الخلاف، وساد البغي، وحدث سوء الظن، خصوصًا إذا كانوا من قليلي التقوى

---

(١) رواه الطبراني في «الصغير» و«الأوسط»، وحسنه الألباني.

والإيثار، أو كان بعضهم مستبدًا برأيه أو كان أحد الأطراف أكثر جدية من الآخر.

ومن هنا تسوء العلاقة وتحل الفرقة، وربما وصلت الحال بهم إلى الخُصُومَات في المحاكم، فيصبحون بذلك سُبَّةً لغيرهم، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾ (ص: ٢٤)[١].

٥ ـ الطلاق بين الأقارب:

يقع الطلاق أحيانًا بين الأقارب، فتكثر المشكلات بذلك، وربما يتدخل أهل الزوجين وتتعقد الأمور بسبب حضانة الأولاد، أو إساءة أحد الطرفين ويحل الخِصَام بدلاً من الوِئَام.

٦ ـ الكلمة السيئة:

الكلمة السيئة شرُّها مستطير وأمرها كبير، من شأنها أن تُشعل فتنًا وحروبًا طاحنة .. تفسد القلوب، وتقطع الأواصر، وتخرب البيوت .. كلمة واحدة من التحقير من شأنها أن تحطم بلدًا، وتنهي علاقة زوجين، وتقطع الأخ من إخوانه.

---

(١) «رسائل في التربية والأخلاق والسلوك» (٦٧) للحمد.

كلمة واحدة من القذف تجعل شرف الإنسان وأسرته في أسفل سافلين . . معاول هدم العلاقات الأخوية تكمن في أربع كلمات: السِّباب، والعياب، والكذب، والتنابز بالألقاب.

■ قال رسول الله ﷺ: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً؛ يهوي بها في جهنم**»[1].

- قالوا: «إياك أن تقطع بلسانك عنقك».

- زوج كان كلما نظر إلى التلفاز قال لزوجته: انظري إلى الجميلات، هذا الجمال وليس وجهك القبيح! فلما نام جاءت بالماء الساخن وأراقته عليه فتشوه وجهه تمامًا، ودخلت هي السجن!

٧ - عراك الأولاد:

من سوء تقدير بعض الآباء والأمهات: إفساد ذات البين بسبب شجار أو عراك وقع من بعض الأطفال حملهم على تضخيم الأمور وانتصار كل من الطرفين لأولاده؛ فتشاجروا ودب بينهم السباب وغوائل الشحناء، فتناكرت القلوب، ثم تقاطعوا، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

---

(١) رواه البخاري.

٨ ـ سوء خلق بعض الزوجات:

من نكد العيش وحياة الشقاء: الزوجة السيئة، وصدق رسول الله ﷺ: «**أربع من الشقاء: المرأة السوء، والجار السوء، والمركب السوء، والمسكن الضيق**»[١].

حتى وصل الحال ببعض الزوجات ـ هداهن الله ـ أن تأمر زوجها بقطيعة أهله وتنهاه عن صلتهم وزيارتهم أو استضافتهم وتقبحهم عنده، ومنهن من حملت زوجها على عقوق والديه وهجر أهله.

٩ ـ عدم سداد الديون أو تأخيره:

عدم سداد الدين وتأخيره مع القدرة ظُلمٌ أفضى إلى الشحناء والبغضاء والقطيعة، ويعد كبيرة من الكبائر .. نعوذ بالله تعالى من المأثم والمغرم.

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مطْلُ الغني ظلم**»[٢].
- عن الشريد بن سويد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليُّ الواجد يحل عرضه وعقوبته**»[٣].

---

(١) رواه الحاكم وغيره عن سعد، وصححه الألباني.
(٢) متفق عليه.
(٣) رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي، وحسنه الألباني.

فلا يجوز للمدين القادر المتمكن تسويف سداد الدين، فإن المُمَاطَلَةَ مع الطلب ظُلم للدائن، وإنَّ ليَّ الواجد الغني الذي عنده سعة وقدرة، والذي وجد المال إن تكرر ذلك منه كان فاسقًا ـ عياذًا بالله تعالى ـ، يحل عرضه بنفسه بأن يقال له: ظالم ومماطل ونحوه.

وكم من مسوِّف لسداد الدين قد مات ولم يؤدِّ ما عليه.

ولله كم أفسد تأخير الدين من رحم، وكم قطع من صلة، وكم منع من خير، وأحدث من ضرر، وكم أوقع من مقالة سوء بحقٍّ وغير حق . . نسأل الله السلامة.

١٠ ـ الخيانة:

والخيانة شأنها عظيم؛ تهدم البيوت، وتنهي الحياة الزوجية، وتقطع الأرحام، وتفرق الشركاء، فما أقبح الخيانة، فكم سفكت من دماء، وكم سلبت من حقوق . . ألا ما أشد خيانة المسلم، والوقوع في عرضه، وأكل ماله، وخيانة العهد والذمة.

ومن أعظم الخيانات: الجناية على حليلة الجار أو مدُّ العين لحلائل إخوانه، والجناية على فراشهم، وتخبيب زوجاتهم.

ومن أقبح الخيانات: الخيانة الزوجية، وهي مشكلة اجتماعية تؤرق المجتمع، وأكبر الأخطاء عند كثير من الناس أن الخيانة الزوجية قاصرة على الزنا، والصواب أن الخيانة الزوجية كل علاقة

غير مشروعة تنشأ بين رجل وامرأة لا تحل له، والعكس، سواء بلغت حد الزنا أو لم تبلغ، ويشمل النظرات المحرمة والابتسامات الفاجرة، والمواعيد الغرامية والخلوة، والاتصالات الهاتفية والإلكترونية، وأحاديث العشق والحب.

والخيانة أخطر مشكلة تهدد الحياة الزوجية، ولا توجد خيانةً دون مقدمات وبدايات، وإذا ما وقعت الخيانة فيعني أن أحد الطرفين مُقَصِّر في فهم الطرف الآخر.

وإذا لاحت الخيانة في الأفق بدأت معارك الاتهامات، ثم الضّعف النفسي وفقدان الثقة، ثم الطلاق والفراق، وتارة يستمر الزواج ولكن يبالغ أحد الطرفين في السكوت لإخفاء الخيانة، فإما أن يتجاهل الطرف الآخر ولا يأبه به، أو يبالغ في تعويضه على غير المعتاد كالإنفاق المالي للسكوت عنه، وربما تتصبَّر الزوجة على إهانات الزوج لأنها تحصل على الإشباع من مكان آخر - فالله المستعان -.

١١ - تخبيب المرأة على زوجها:

■ عن بُريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من خبَّب على امرئ زوجته أو مملوكه: فليس منا**»[1].

---

(١) رواه أحمد وغيره، وصححه الألباني.

■ وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من خَبَّبَ امرأة على زوجها أو عبدًا على سيده»[١].

التخبيب: هو المخادعة والإفساد، بأي نوع من أنواع الإفساد، وتخبيب زوجة الغير خداعها وإفسادها، أو تحسين الطلاق إليها ليتزوجها أو يزوجها غيره، وكل ذلك من المحرمات ومن كبائر الذنوب، والإسلام يحذر من أمثال هؤلاء الذين يضعون أنوفهم في حياة الأُسَر، ويعتبرهم خارجين على مبادئ الإسلام وروحه، وليس لهم شرف الانتساب إليه[٢].

١٢ - المراء والجدال:

■ قال تعالى: ﴿ومِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ (البقرة: ٢٠٤).

الجدال يُذكي العداوة ويورث الشِّقاق، ويقود إلى الكذب، ويدعو إلى التشفي من الآخرين، فإذا تجنبه المرء سلم من اللجاج، وحافظ على صفاء قلبه، ثم إن اضطر إلى الجدال فليكن جدالاً هادئًا، يرادُ به الوصول إلى الحقِّ، وليكن بالتي هي أحسن وأرفق كما قال تعالى: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل: ١٢٥).

(١) رواه أبو داود، والحاكم، وصححه الألباني.
(٢) ولي بحث في حكم زواج التخبيب مع بيان بطلانه في جزء سميته «المفرقون بين الأحبة» يسر الله طبعه بمنه وكرمه.

أما إذا لَجَّ الخصم في الجدال وعلا صوته في المجلس، فإن السكوت أولى، وإن أفضل طريقة لكسب الجدال حينئذ هي تركه.

■ عن أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«أنا زعيمٌ ببيتٍ في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، وببيت في أعلى الجنة لمن حَسُن خُلُقُه»**[1].

آفة عظيمة وداء عضال تمكن من كثير من الناس، فتراهم في مجالسهم ومنتدياتهم وأحاديثهم يتجادلون ويتناقشون ويماري بعضهم بعضًا، ولربما ثارت بينهم الخصومات والعداوات بسبب هذا الجدل والمراء، فما أكثر ضحايا المراء، وما أكثر صَرعَى الجدال.

ومن بلايا المراء والجدل بالباطل: انتشار الأحقاد والعداوات بكلمات كان منشأها مناقشة، ثم مراء وجدل، ثم خصومة.

■ وهذا الصنف من الناس لا يحبه الله تعالى؛ عن عائشة ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: **«إن أبغض الرجال إلى الله الألدُّ الخصم»**[2].

١٣ ـ *الفخر بالأحساب والطعن في الأنساب:*

■ قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا** ﴾ (الأحزاب: ٥٨).

---

(١) رواه أبو داود، وانظر «الصحيحة» (٢٧٣).

(٢) رواه البخاري ومسلم.

■ عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركوهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة»**[(١)].

■ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت»**[(٢)].

الوقوع في أعراض الناس بنحو الطَّعن في نسب طاهر ثبت في ظاهر الشرع، أو التعاظم بالآباء وسلسلة النسب من سوء الأخلاق وفعل السفهاء، فلا فخر إلا بطاعة الله، ولا عزَّ لأحد إلا بالله، والطعن في النسب كبيرة من الكبائر ليست من خصال الأبرار، بل من أفعال الجاهلية، والكفر المذكور في الحديث كفر نعمة الله، فإن استحله الفاعل فالكفر على بابه، ومن عاب غيره وقدح في نسبه بأنه ليس من ذرية فلان، أو ليس بابنه فإنه ركب الشطط بما لا يعنيه، وتدخل في علم الغيب.

فالتعاظم بالآباء والطعن في الأنساب من مواقد الشِّقاق التي حرمها الإسلام، فالناس سواء في أصل الخلقة، وليس قوم بأفضل من قوم ولا قبيلة بأكرم من قبيلة إلا بالتقوى، والإسلام يمقت نظرة التعالي القائمة على أساس النسب أو اللون، فدعك منها

---

(١)،(٢) رواهما مسلم.

تسلم وتسعد، وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات: ١٣)، و«**من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه**».

١٤ ـ *السِّحر:*

▪ قال تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (البقرة: ١٠٢).

السِّحر عزائم ورُقى وعُقَدٌ تصدر عن نفس شريرة تؤثر في القلوب والأبدان، فيمرض ويقتل، ويفرق المرء وزوجته، ويأخذ الزوجين عن صاحبه، وربما أبعد الولَدَ عن أهله، والبنت عن أهلها، وكم من رحم قطع بسبب السحر .. نعوذ بالله من السِّحر والشُّرور كلها.

١٥ ـ *نسيان بعض الأقارب للمناسبات السارة:*

كثيرة هي التوافه التي تتقطع بها الأرحام، ومن ذلك نسيان بعض الأقارب للمناسبات السارة، فيكون من أثر ذلك القطيعة والهجر.

وهناك أسباب أخرى كثيرة يطول الكلام فيها كشهادة الزور، والأثرة وحب الدنيا والتنافس فيها، والحسد والبغضاء.

من علاج فساد ذات البين

علاج فساد ذات البين يكمن في أمور كثيرة، منها ما ينبغي أن يقوم به كل ذي علاقة يتعلق به فساد ذات البين، ومنها ما ينبغي أن يسلكه المُصلح في علاقته مع الناس، وإليك - أيها الودود - أربعة أمور تحل كثيرًا مشكلات القطيعة والعداوة والبغضاء وفساد ذات البين:

أولاً - رد الحقوق:

أقرب الطرق لعلاج فساد ذات البين: رد الحقوق لأصحابها؛ كرد الأمانات، واسترجاع الديون المستحقة، والوفاء بالعقود، ورد المظالم لأنها سواء كان في دمٍ أو مالٍ أو عرضٍ، كل ذلك يحل المشكلات ويقرب الناس بعضهم من بعض.

الواجب على من ظلم غيره أن يتوب إلى الله ويوفي كل ذي حق حقه، مادام قادرًا على ذلك، ويستغفر الله مما قصر فيه ويستحل أصحاب الحقوق من تقصيره، فإن ذلك أدعى لصفاء القُلُوب والبراءة من المؤاخذة يوم القيامة.

■ عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من كانت لأخيه عنده مظلمةٌ من عرضٍ أو مالٍ؛ فليتحلله اليوم قبل أن يؤخذ منه يوم لا**

دينار ولا درهم، فإن كان له عمل صالح أُخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له عمل أخذ من سيئات صاحبه فجعلت عليه»[١].

ثانيًا - التسوية بين الأبناء في العطية:

ما أروع العدل، وهل قامت السَّموات والأرض إلا بالعدل؟ وإن مما يجب على الوالدين تجاه أولادهم العدل بينهم في الهِبات والعطايا.

■ عن النعمان بن بشير ﷺ قال: نحلني أبي نحلاً ثم أتى بي إلى رسول الله ﷺ ليشهده، فقال: **«أكل ولدك أعطيته هذا؟»** قال: لا، قال: **«أليس تريد منهم البر مثل ما تريد من ذا؟»** قال: بلى، قال: **«فإني لا أشهد»**[٢].

فالهبة أو العطية إذا كانت من الوالدين لأحد الأبناء بقصد الإضرار أو التفضيل فإنه ظُلم، ومن جور بعض الآباء توزيع ممتلكاته على بعض الأبناء قبل وفاته ليحرم الباقين من الميراث.

وهذا ولاشك يوغر صدور الباقين، وربما أفضى إلى العقوق وفساد ذات البين، لذلك عدَّ الرسول ﷺ تلك العطية التي لم يستوِ فيها جميع الأولاد ظلمًا، وكفى بعاقبة الظلم ظلمات يوم

---

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه البخاري ومسلم.

القيامة. قال تعالى: ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴾ (النساء: ٩).

جملة من الآباء يفضلون الذكور على الإناث أو العكس، أو الصغار على الكبار، أو أولاد الزوجة الثانية على الأولى، فمثل هؤلاء الآباء أوقعوا أنفسهم في الظلم وساقوها إلى الهلكة، وكانوا سببًا في تصدُّع الأسرة وتفكيك أعضائها وإيجاد العداوة بين الإخوة، فأدَّى ذلك إلى عقوقهم في الحياة وبعد الممات، فالواجب على الآباء العدل مع الأبناء وتصحيح التعامل مع الجميع.

ثالثاً ـ العدل بين الزوجات:

العدل من أخلاق الأنبياء، به قامت السموات والأرض، فيجب على المتزوج أن يُعَامل زوجته بما يحب أن تعامله به، من غير تعب ولا إظهار كراهية، وهذا من حُسن العشرة.

- قال الله تعالى: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (النساء: ١٩).
- وقال تعالى: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ (البقرة: ٢٢٨).
- وقال سبحانه: ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾ (النساء: ٣).

فإذا كان للرجل أكثر من زوجة، فيجب عليه التسوية بين زوجاته في حقوقهن من النفقة (المشروب والمأكول والملبوس)،

والمبيت، والمعاملة الظاهرة ـ فيما يملك ـ، فمن جار فهذا حرام؛ لأنه ظلم وعاقبته معجلة.

■ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ليس شيءٌ أعجل عقاباً من البغي، وقطيعة الرحم، واليمين الفاجرة: تدعُ الديار بلاقع»**[(١)]. **والبغي:** هو الظلم والتجاوز عن الحدِّ.

ومن ظلم بعض الأزواج ـ هداهم الله ـ هجر الزوجة هجرة دائمة وهجر أبنائها معها، والميل مع الزوجة الأخرى بكل شيء.

ـ ومن ظلمهم عدم النفقة على زوجته وأولادها وتضييعهم.

ـ ومن ظلمهم كتابة ما يملك من مال لإحدى الزوجات وترك الأخرى وأولادها.

■ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من كانت له امرأتان، فمال إلى إحداهما؛ جاء يوم القيامة وشقُّهُ مائلٌ»**[(٢)].

■ وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا كانت عند الرجل امرأتان، فلم يعدل بينهما؛ جاء يوم القيامة وشقُّهُ ساقط»**[(٣)].

---

(١) **صحيح بمجموع طرقه:** أخرجه البيهقي (١٠/ ٣٥)، وانظر تصحيح الألباني في «الصحيحة» (٩٧٨).

(٢) رواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١٩٤٩).

(٣) رواه الترمذي، والحاكم، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٦١).

ولما كانت النساء شقائق الرجال، وكانت الزوجة نفس الرجل ومسكنه ولباسه وعطل واحدة من بينهن جوزي بتعطيل نصفه، فيجب التسوية بينهن حتى لو كانت الزوجة مريضة أو حائضًا أو كبيرة، أو زوجة مسلمة أو كتابية إلا المسافرة والناشزة، وهي الخارجة عن طاعته، أو تمنعه التمتع بلا عذر، أو تغلق الباب دونه.

وتأمل عدل النبي ﷺ حتى في حال المرض مع نسائه واعتَبِر؛ فالمريض في وجوب القسم عليه كالصحيح، والقسم للصحبة والمؤانسة وإذهاب الوحشة.

■ عن عائشة ﵂ أن رسول الله ﷺ كان يسأل في مرضه الذي مات فيه يقول: «**أين أنا غداً، أين أنا غداً؟**» يُريد يوم عائشة، فأذنَ له أزواجه يكون حيث شاء، فكان في بيت عائشة حتى مات عندها[(١)].

■ وعن عائشة ﵂ قالت: كان رسول الله ﷺ لا يفضل بعضنا على بعض في القسم[(٢)].

عماد القسم الليل والنهار تابع له؛ لأن الله تعالى جعله سكنًا والنهار للتردد في المصالح، وهذا حكم غالب الناس، أما من

---

(١) رواه البخاري (٤٤٥٠).

(٢) حسنه الألباني في «إرواء الغليل» (٢١١٨).

يعمل ليلاً كالحارس، فعماد قسمه النهار والليل تبع، فمن كان قسمه الليل يحرم عليه أن يدخل في نوبة واحدة على أخرى ليلاً، وكذا بالنهار، فإن دخل قضى لصاحبة النوبة.

■ وإن تزوج جديدة خصها بسبع ليال إن كانت بكرًا وأقام عندها سبعًا، وإن كانت ثيبًا بثلاث، فإذا جدد الشخص نكاح امرأة وعنده زوجتان مثلاً قد قسم لهما قطع الدور للجديدة، فإن كانت بكراً أقام عندها سبعًا أو ثيبًا ثلاثًا، ثم يعود القسم بالتساوي[1].

■ عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا تزوج البكر على الثيب أقام عندها سبعاً، وإذا تزوج الثيب على البكر أقام عندها ثلاثاً**»[2].

ولا يسقط القسم بين الزوجات إلا في السفر، فإنه يقرع بين نسائه (أي قرعة).

أما العدل والمساواة في المحبة القلبية؛ فإنه خارج عن قدرته؛ لأنه ميل القلب الذي ليس بيده، ولا يملك القلوب إلا الله سبحانه.

أما الوطءُ فيكون بالمعروف، كما ينفق عليها بالمعروف ويكسوها بالمعروف، وعليه أن يشبعها وطئًا إذا أمكنه ذلك كما عليه أن يشبعها قوتًا وهذا هو القول الصحيح وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية.

---

(١) «كفاية الأخيار» (٥٠٤-=٥٠٨).

(٢) رواه البيهقي، وصححه الألباني.

■ عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يقسم فيعدل ويقول: «اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك» يعني حب القلب»[1].

أما قوله: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ (النساء: ١٢٩)، قال: في الحب والجماع.

ومن لم يستطع المساواة في المبيت والنفقة والمعاملة الظاهرة بينهن، وهذا شرط في التعدد، وإلا فواحدة؛ قال سبحانه: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ (النساء: ٣).

رابعًا - الاعتذار:

الاعتذار: هو تحرِّي الإنسان محو أثر الذَّنب، مع إظهار ندم وأسف على ذنب قام به تجاه الغير بأنه لا يعود.

من الحسن اعتذار المسيء مع الاعتراف بالخطأ، وأحسن من ذلك قبول الاعتذار، ولله كم بقيت رؤوس على أجسادها لما حضر الاعتذار.

إذا اعتذر الصديق إليك يومًا ■■■ من التقصير عذر أخ مُقرّ

فصُنْهُ عن جفائك واعف عنه ■■■ فإن الصفح شيمَةُ كل حُرّ

---

(١) حسن: رواه أبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه.

والعاقل من يجانب ويحذر أن يقول قولاً أو يفعل شيئًا يسيء به للغير يعتذر عنه لاحقًا؛ لأنه قلما اعتذر أحد فسلم من الكذب، لهذا جاء في الحديث: «**إياك وكل ما يُعتذر منه**»[1]، أي: احذر أن تقول قولاً أو تعمل شيئًا تعتذر عنه غدًا.

ونصيحتي لكل مسيء: أن يبادر الاعتذار ويدع الاستكبار، لينال عفو الغفار.

قال الحسن بن علي رضي الله عنهما: «لو أن رجلاً شتمني في أذني هذه واعتذر إليَّ في أذني الأخرى لقبلت عذره».

ومن النظم في معناه:

قيل لي قد أساء إليك فلانٌ ▪▪▪ وقعود الفتى على الضيم عارُ

قلت قد جاءنا فأحدث عذراً ▪▪▪ دية الذنب عندنا الاعتذارُ

وقال آخر:

اقبل معاذير من يأتيك معتذرًا ▪▪▪ إن برَّ عندك فيما قال أو فجَرا

فقد أطاعك من يرضيك ظاهرهُ ▪▪▪ وقد أجلك من يعصيك مُستَتِرا

وقد أحسن القائل:

إذا اعتذر الجاني مَحَا العُذرُ ذَنبَهُ ▪▪▪ وكانَ الذي لا يَقبَلُ العُذرَ جَانيا

---

(١) **حسن**: رواه الضياء.

قال الأبرش:

هبني أسأت كما زعمت ... فأين عاطفة الأخوة
أو إن أسأت كما أسأت ... فأين فضلك والمروة؟

خامسًا ـ الدعاء:

مناط التوفيق في الإصلاح بيد الله الذي يجريه بحسب نوايا الناس وصدقهم في التوجه إلى الصلح، والاستعانة بالله العظيم سبحانه ودعاؤه هو الملجأ في الأولى والآخرة في إصلاح الأحوال وتغيير الأمور وتقريب القلوب.

ومن مأثور دعاء النبي ﷺ ما رواه الإمام أحمد وأصحاب السنن عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«رب تقبل توبتي، واغسل حوبتي، وأجب دعوتي، وثبِّت حجتي، واهد قلبي، وسدِّد لساني، واسلل سخيمة قلبي»**.

السخيمة: أي أذهب عني الضغينة والحقد والكراهية.

وعلى المرء أن يدعو لنفسه ولغيره بالهداية والسداد، وأن تصلح أحواله وأحوال غيره.



صفات ينبغي توافرها في المصلح لذات البين

١ ـ إخلاص النية لله تعالى:

أن ينزه المصلح نفسه عن الرياء والسمعة والشهرة، ولا يقصد بفعله الترؤس وارتفاع الذكر والجاه، أو تعظيم الناس له، أو سلمًا يتوصل به إلى الأغراض الدنيوية، بل يقصد بذلك وجه الله سبحانه لتحقيق ما أمر الله به.

■ قال تعالى: ﴿ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ (٢) أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ (الزمر: ٢-٣).

ومما يجب على المصلح أن يتذكر: أن ما يقوم به إنما هو لوجه الله سبحانه، وسواء تحقق على يديه الإصلاح أو لم يتحقق، وكذلك لا ينتظر شكر التفضل من أحد، ومن قصد غير الله خَسِر صفقته وضاع سعيه وحرم التوفيق، فاحفظ هذا فإنه مهم جدًا.

وعلى المصلح أن يستمسك بالتقوى، ولا يمد عينيه لمتاع غيره، فإنه جماع الزاد التقوى، وعنوان الإيمان الإصلاح.

٢ ـ التحلي بالعدل:

■ قال تعالى: ﴿ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (الحجرات: ٩).

■ وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة: ٨).

٣ ـ كتم أسرار المتخاصمين:

المصلح الموفق من يسلك طريق النجوى، وهو السر دون الجهر؛ لأن الخلاف كلما ضاق الحديث فيه كلما كان من السهل القضاء عليه، ولعل فشل بعض القضايا عند المصلحين إفشاء الأخبار وتسريب الأسرار؛ قال تعالى: ﴿ لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (النساء: ١١٤).

وبعض الناس يتأذى من نشر أخباره ومشكلاته، والمصلح البصير من يتحرَّى الحكمة في نصحه حتى لا تتعقد المسائل ولا تزيد المشاكل.

■ قال الإمام الشافعي:

تعمدني بنصحك بانفرادي ▪▪▪ وجنِّبني النصيحة في الجماعه

فإن النصح بين الناس نوع ▪▪▪ من التوبيخ لا أرضى استماعه

فإن خالفتني وعصيت أمري ▪▪▪ فلا تجزع إذا لم تعط طاعه

وحبذا أن يكون مكان الإصلاح في بيت المصلح أو مكان خاص غير بيت المتخاصمين؛ لأن بعض النفوس تتعنت في مكانها وتشمخ في دارها، ونصيحة في بيت المصلح أو سلطانه دليل كرم ربما أخجل بعض المتخاصمين فارتفع التعنت.

٤ ـ أن يكون ذا حلم وصبر وسخاء:

القائمون على الإصلاح بين الناس يحتاجون إلى الوقت الكبير، وربما دعت الحاجة إلى وليمة وزيارات متكررة، واستماع قول المتخاصمين، وربما دعت الحاجة إحضار المتخاصمين أو الزوجين فيطول المجلس بالكلام، مما يستدعي المُصلح إلى الصبر والحلم حتى لو تم اتهامه بعدم الإنصاف والسخاء بوقته وقوله وماله، ومن جرَّب القيام بذلك يدرك كم من الوقت والجهد يبذل لتحقيق ما يصبو إليه، فعليه أن يحتسب ذلك لله تعالى، ومن رام الجنة صبر.

٥ ـ بذل المال:

إن دعت الحاجة إلى بذل المال جاد به تقربًا وحَلاً لذات البين؛ فإن ذلك من أعظم الأجر، بل أجاز العلماء أن يأخذ من مال الزكاة إن دعت الحاجة، وأن يعطى المصلح من الصدقة إذا تحمل إصلاح بين جماعتين أو قبيلتين أو قرابتين أو أخوين أو زوجين، ونحو ذلك .. فالمصلح جدير بأن يُعان.

■ عن قبيصة بـن المخارق قال: قال رسول الله ﷺ: **«يا قبيصة، إنَّ المسألةَ لا تَحلُّ إلا لأحد ثلاثة: رَجُلٍ تَحَمَّلَ حَمَالَةً[١] فَحَلَّت له المسألةُ حتى يُصيبَهَا ثم يُمسكُ ...»**[٢].

والعرب في الجاهلية كانوا يعنون بـذلك، فعندما تقاتلت عبس وذبيان قـتالاً مـريرًا وسقط الكثيـر من القتلى وتدخل المـصلحون الذين رأوا أن المال يجب أن لا يـحول بين المـصلح وبين إتمام هذا الأمر، فتقدم هرم بن سنان والحـارث بن عـوف ودفعا من مالهما ديات القـتلى وذلك قول زهيـر بن أبي سلمى في معلـقته يمـتدح الحارث بن عوف وهرم بن سنان، ومن تفصـيلات هذه المعركة أنه عندمـا يستـحر القـتل تأتي عـجوز اسـمهـا مَنْشم عطَّارة فتـرش عطرها، أو يشترونه منها إيذانًا بكثرة القتلى.

تَدَاركتُما عبسًا وذُبيانَ بعد ما ■■■ تَفَانَوا ودَقُّوا بينهم عطرَ مَنشَمِ

وقد قُلتما إن نُدرك السِّلمَ واسعًا ■■■ بمالٍ ومعروفٍ من القول نَسلَمِ

فأصبحتُما منها على خيرِ مَوطنٍ ■■■ بَعيدَينِ فيها من عُقوقٍ ومأثَمِ

عَظيمَينِ في عُليا مَعَدٍ هُديتُما ■■■ ومَن يَستبح كنزًا من المجد يعظُمِ

---

(١) **الحمالة**: هي المال الذي يتحـمله الإنسان، أي: يستدينه ويدفـعه في إصلاح ذات البين.

(٢) رواه مسلم (١٠٤٤).

قلت: فإذا كان هذا قد وقع في الجاهلية، فَلِمَ لا يقع اليوم ونحن في ظل دين السماحة الإسلام؟!

٦ ـ عذوبة اللسان مع الثناء على الطرفين المتخاصمين:

للناس أحاسيس ومشاعر تؤثر فيهم الكلمة الطيبة، ويحتاجون إلى الثناء الصادق، والشكر الفائق، فعليك أن تغرس فيهم أنهم يحبون الخير، وأنهم أهل فضل وسماحة وكرم وعفو، وأن البادي بالسلام أسبق في الأجر، ولو استدعى الأمر الكذب دون مبالغة فلا بأس فإنه محمود.

■ قال رسول الله ﷺ: «**ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس، فينمي خيرًا أو يقول خيرًا**»[1].

ولا تنس شكرهم إذا تصالحوا، ومدحهم إذا عفوا، فإن ذلك يعزز الإصلاح.

٧ ـ العلم الشرعي:

به تحل المشكلات، ويعرف الحلال من الحرام، وبه تعرف الحقوق ومسائل الخلاف كثيرة ومتشعبة، منها أحوال شخصية ومنها مالية، ومنها اجتماعية، وغيرها كثير، وكل ذلك بحاجة إلى علم ودراية بعلوم الشريعة ومعرفة بأحكامها.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

■ قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (الزمر: ٩)، كلا، ثم كلا.

٨ - الدراية بالواقع الاجتماعي والنَّفسي:

جميل جداً أن يكون المصلح على دراية بالواقع الاجتماعي وعادات المجتمع وتصرفاته، ومعرفة شخصيات الناس، وأنماط السلوك لديهم، ومراحل النمو عندهم، والمشكلات التي تعتريهم، والصفات الشخصية، وبعض الدول أنشأت مراكز لإصلاح ذات البين، ودعت الضرورة لإيجاد باحثين اجتماعيين ونفسيين وشرعيين حتى يسهل عندهم العلاج، وإذا كان المصلح ملمًا بهذه الفنون سَهُلَ عليه حل كثير من المشكلات.

ولا بأس بالاستعانة بأهل الخبرة واستشارتهم والاستفادة من خبرتهم، وبالأخص العلماء والعقلاء الكبار، أهل التجربة والحكمة والرشاد، بل لا يستنكف من الاستفادة ممن هو دونه علمًا أو سنًا إذا حاز الخبرة.

٩ - طول النفس وعدم اليأس:

الصبر وطول النفس وعدم اليأس وتكرار المحاولة من ضروريات عمل المصلح، فإذا لم يفلح في المرة الأولى ووصل إلى طريق مسدود، فعليه أن يرجو اللقاء مرة أخرى، ويجمع أفكاره ويرتب محاولاته بصورة أدق، وعليه أن يبدأ بنقاط

الخلاف السهلة أولاً، وهكذا حتى يصل بإذن الله تعالى إلى مراده، ولا يأس على وقته الذي مضى في الإصلاح، فتحدثه نفسه بأنه أهدر وقته دون فائدة، بل عليه أن يكرر المحاولة ويحتسب الثواب من الله تعالى.

على المرء أن يسعى إلى الخير جاهداً ▪▪▪ وليس عليه أن تتم المقاصدُ

١٠ ـ التحلي بالأخلاق:

التحلي بالأخلاق من شيم النفوس الشريفة والخلال الحميدة؛ فعلى المصلح أن يتصف بالأخلاق الكريمة في قوله وفعله حتى يعظم في العيون، وتصدق فيه خطرات الظنون، وعليه أن يتذكر بأنه مصلح وليس خصمًا لأحد؛ فإذا تعنت أحد المتخاصمين، فلا ينبغي تهديده وتخويفة حتى لا يكون خصمًا لأحدهما فيتعقد الأمر، فما هو إلا مرشد مصلح.

وعلى المصلح أن يلازم الإنصاف والعدل ويبقى على مسافة واحدة من الخصمين، وأن يسمع إلى الطَّرفين ويقرِّب بينهم، وعليه أن يكتم أسرار المتخاصمين وأن لا تتطلع نفسه لغرض دنيوي، وليلزم التقوى والخوف من الله تعالى.

١١ ـ استعن بالله ولا تعجز:

على المصلح أن يستعن بالله قبل البدء بالإصلاح، ويديم الرجاء والاستعانة والعصمة، ولا يركن إلى فهمه وعلمه وماله ومكانته؛

فإن الله سبحانه هو مؤلف القلوب: ﴿**لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ**﴾ (الأنفال:٦٣)، ولا بأس أن تقدم بين يديك صدقة تفتح بها أبواب السماء ويرضى عنك الله ـ جل جلاله ـ.

١٢ ـ فتح باب الأمل:

أخي المصلح إذا وصلت إلى طريق مسدود فعليك أن تفتح للمتخاصمين باب الأمل مستقبلاً، وتذكر لهم هدفك من اللقاء، وبعض النقاط الإيجابية، على أمل أن تُحل مستقبلاً.

ولخطورة عمل المصلح وقيمته، فقد أجيز له أمر لم يجز لغيره: وهو الكذب بقصد الإصلاح، والحديث الذي بين أيدينا يشهد ذلك:

- عن أم كلثوم بنت عقبة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**لا يصلح الكذب إلا في ثلاث: الرجل يكذب في الحرب والحرب خدعة، والرجل يكذب بين الرجلين ليصلح بينهما، والرجل يكذب للمرأة ليرضيها بذلك**»[1].

- عن أم كلثوم بنت عقبة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**ليس الكذاب الذي يُصْلِحُ بين الناس، فينمي خيراً أو يقول خيراً**»[2].

(١) رواه أحمد (٦/٤٠٣)، وأبو داود، والترمذي، وحسنه الألباني.
(٢) رواه البخاري ومسلم. وقوله «فينمي» أي: يبلغ.

ما يجب على المنصوح

١ - التفكير في خطورة عدم الحل وعواقبه من الفرقة واستمرارية الخصومة:

وفيما يلي أحاديث تلقي الضوء على ذلك:

■ عن النعمان بن بشير ﵄ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الجماعةُ رحمةٌ، والفُرقة عذابٌ**»[١].

■ عن عمر ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**عليكم بالجماعة، وإياكم والفُرقة؛ فإن الشيطان مع الواحد، وهو مع الاثنين أبعدُ، من أراد بحبوحةَ الجنة فليلزم الجماعة**»[٢].

والجماعة المسلمة تبدأ من الأسرة وركنيها حتى تصل إلى الأمة، ولكل مستوى معين من الخصومات التي قد تحدث ويجب العمل على حلها، ولا بأس من التذكير ببعض الخسائر التي وقعت بسبب الخصومة، وما يمكن أن ينشأ عنه مستقبلاً، وبالأخص الطلاق وما يعقبه من آثار . . «فالطلاق صدمة تؤثر سلبًا على الصحة النفسية والجسدية للمطلقين، حيث تتغير

(١) حديث حسن: رواه عبد الله بن أحمد في «زوائد المسند»، وانظر «صحيح الجامع» (٣١٠٩).

(٢) رواه أحمد، والترمذي، وصححه الألباني.

مكانتهم الاجتماعية (متزوج أو متزوجة) إلى مكانة (مطلق أو مطلقة)، وهذا يعني أن الطلاق يقلل من المكانة الاجتماعية لكل من الرجل والمرأة.

حيث تتغير نظرة الناس إلى المطلقين ويفقدان الكثير من أصدقائهم ويعانيان من الوحدة ويحملان تعليقات اللوم والفشل في الحياة الزوجية، كذلك الشك والريبة في سلوكهما مما يجعلهم يعيشون على هامش الحياة الاجتماعية.

ونتيجة الانفصال تضطر المرأة أن تُعيل نفسها وأبناءها في ظل أزمة نفسية تحاول تجاوزها وإحساس بالوحدة وقلة الموارد المالية، حيث كثيراً ما تضطر المرأة إلى رفع دعاوى مستمرة مدى الحياة لتعديل وضع أبنائها، كذلك زيادة المسؤوليات بالإنفاق على نفسها وأطفالها، كما تعاني المرأة من ازدواجية الدور المطلوب منها وصعوبة في تحديد هويتها الاجتماعية سواء في الأسرة أو العمل أو مع الجيران.

كما يُصارع الزوج إحساسه بالفشل في النجاح بحياته وإحساسه بالوحدة وعدم الاهتمام والحرمان من إشباع جميع احتياجاته النفسية والجسدية والعاطفية التي كان يعيشها في الزواج، خاصة الدور الجنسي، مما يجعله عرضة للانحراف، كما

يعاني المطلق من الأعباء المادية التي يتحملها كنفقة العدة والمتعة، وبدل الإيجار ونفقة الأبناء وتوفير الخادمة، أما إذا كانت الزوجة حامل فإن هناك نفقة وضع ورضاعة، ويراود المطلقين دائمًا الإحساس بالذنب نتيجة لفشل زواجهما كما تتسلط عليهم أفكار تشاؤمية وتغير في نمط الحياة الاجتماعية، حيث يتركون بيت الزوجية ويعيشون بمفردهم مع أبنائهم أو يرجعون إلى بيت الأهل أو قد يضطرون إلى الانفصال عن أبنائهم، وهنا يعانون من الحرمان والخوف على الأبناء، وكل هذا يزيد مع إحساسهم بالظلم وعدم الرضا النفسي»[1].

٢ ـ أن يتذكر المنصوح أن السماحة من الإيمان ودليل قوته، ومن أفضل خصاله:

■ قال تعالى: ﴿ وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ (فصلت: ٣٤).

■ عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الإيمان الصبر والسماحة**»[2]. وفي حديث آخر: «**أفضل الإيمان الصبر والسماحة**»[3].

---

(١) انظر نشرة: «الطلاق الأثر والنتيجة».
(٢) رواه الطبراني وغيره.
(٣) رواه الديلمي في «مسند الفردوس»، وصححهما الألباني.

فمن مظاهر ضعف الإيمان ضيق الصدر والتأفف من تصرفات الناس حوله، حتى تذهب سماحة نفسه فلا يوجد عنده مُسَامَحَةٌ أو عفوٌ، ومن صفات المؤمن السماحة والألفة، ومن صفاته اقتلاع الشُّحِّ من نفسه.

قال السعدي: «قوله: ﴿ وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ ﴾ (النساء: ١٢٨)، أي: جبلت النفوس على الشح، وهو عدم الرغبة في بذل ما على الإنسان، والحرص على الحقِّ الذي له، فالنفوس مجبولة على ذلك طبعًا، أي: ينبغي لكم أن تحرصوا على قلع هذا الخُلُق الدنيء من نفوسكم وتستبدلوا به ضِدَّهُ وهو السماحة، وهو بذل الحق الذي عليك، والاقتناع ببعض الحق الذي لك.

فمتى وُفِّق الإنسان لهذا الخلق الحسن سَهُلَ ـ حينئذ ـ عليه الصلح بينه وبين خصمه ومعامله، وتسهلت الطريق للوصول إلى المطلوب، بخلاف من لم يجتهد في إزالة الشح من نفسه، فإنه يعسر عليه الصُّلح والموافقة؛ لأنه لا يرضيه إلا جميع ماله، ولا يرضى أن يؤدي ما عليه، فإن كان خصمه مثله اشتد الأمر»[1].

قلت: وقد يخسر كل شيء نتيجة تعنته.

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (١٧٠).

٣ ـ أن يتذكر فضل العفو وعلو منزلة العافين عن الناس وأجرهم عند الله، وأن يحب لأخيه ما يحب لنفسه:

- قال تعالى: ﴿ ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ﴾ (الشورى: ٤٣).
- وفي الحديث: «ما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا»[١].

ارض للناس جميعًا مثلما ترضى لنفسك

إنما الناس جميعًا كلهم أبناء جنسك

فلهم نفس كنفسك ولهم حسٌّ كحسك

اعلم ـ رعاك الله ـ أن خصمك قد يتعالى ولا يعفو ولا يصفح، فلا تغضب ولا تيأس، وتذكر ثواب العافين عن الناس؛ قال سبحانه: ﴿ والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ﴾ (آل عمران: ١٣٤).

من المعروف أنه إذا تمسك كل واحد منا بحقه، ولم يتجاوز أو يعفو ويغفر، فمن الذي ينال منازل الكرامة والشهامة والسماحة، ومجتمع يخلو أهله من هذه الخصال هو مجتمع عقيم لا خير فيه.

---

(١) رواه مسلم.

وقد أحسن القائل:

فهبني مسيئًا كالذي قلت ظالمًا ▪▪▪ فعفوًا جميلاً كي يكون لك الفضل

فإن لم أكن للعفو منك لسوء ما ▪▪▪ آتيت به أهلاً فأنت له أهل

وقال المقنع الكندي:

إن الذي بيني وبين بني أبي ▪▪▪ وبين بني عمي لمختلف جدا

فإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم ▪▪▪ وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا

ولا أحمل الحقد القديم عليهم ▪▪▪ وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا

٤ ـ أن يتذكر فضل التواصي بالمرحمة:

نعت الله سبحانه أهل الميمنة بصفات عدة: منها نعتهم بأنهم يتواصون بالصبر ويتواصون بالمرحمة، فهم لا يتراحمون فقط، بل يتواصون بذلك، والراحمون يرحمهم الرحمن.

▪ قال تعالى: ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾ (البلد: ١٧).

▪ وقال سبحانه: ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (الفتح: ٢٩).

فالتراحم صفة الصحابة الكرام البررة، فحري بكل مسلم ومسلمة الاقتداء بهم، والتخلق بأخلاقهم، فاتخذ قلبًا رحيمًا، ودع عنك الخصام تَعِشْ سعيدًا.

٥ - أن يتذكر أن الفجور في الخصومة من خُلُق المُنافقين:

■ عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«أربع مَن كنَّ فيه كان منافقًا خالصًا، ومَن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا ائتمن خان، وإذا حدَّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»**[1].

ولا يجهل أحد معنى الفجور: فهو الميل في الخصومة عن الحق والإعراض عنه وقبول الباطل الذي قطع رباط المودة، وأصبح عدوًا لدودًا . . فهل يحب المسلم أن يتصف بصفات المنافقين؟

٦ - أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه:

■ عن أنس رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: **«لا يؤمن أحدكم حتى يُحِبَّ لأخيه ما يُحِبُّ لنفسه»**[2].

■ عن أنس رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: **«والذي نفسي بيده، لا يؤمن عبدٌ حتى يُحِبَّ لأخيه ما يُحِبُّ لنفسه من الخير»**[3].

---

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه البخاري ومسلم.
(٣) رواه أحمد، والنسائي، وصححه الألباني.

٧ ـ التغاضي عن الزلات:

من أخلاق الأكابر السادة الكرماء، ومما يُعين على استبقاء المودة واستجلابها، وعلى وأد العداوة وإخلاد المباغضة.

قال الماوردي: «فأما العفو عن الهفوات: فلأنه لا مُبرأ من سهو وزلل، ولا سليم من نقص أو خلل، ومن رام سليمًا من هفوة، والتمس بريئًا من نبوة، فقد تعدَّى على الدَّهر بشططه، وخادع نفسه بغلطه، وكان من وجود بغيته بعيدًا، وصار باقتراحه فردًا وحيدًا، وقد قالت الحكماء: لا صديق لمن أراد صديقًا لا عيب فيه»[1].

قال الناظم:

ومن لم يغمض عينَهُ عن صديقه
وعن بعض ما فيه يَمُت وهو عاتبُ
ومن يَتَتَبَّع جاهدًا كلَّ عثرةٍ
يجدها ولم يسلم له الدهرَ صاحبُ

وقال آخر:

إذا كنتَ في كل الأمور معاتبًا
صديقك لم تلق الذي لا تعاتبُهْ
ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها
كفى المرء نبلاً أن تعد معايبه

---

(١) «أدب الدنيا والدين» (٥٣١).

وسائل تقريب القلوب

الطرق إلى كسب قلوب الآخرين كثيرة تفوق في عددها المئة طريقة ووسيلة، لو أتينا على ذكرها طال بنا المقام، ولكن حسبنا بالتذكير ببعضها وهي تنبيه لكل نبيه؛ ليقوم كل منا بواجبه تجاه الغير، ومن ذلك:

١ - السلام

اسم من أسماء الله تعالى، ويعتبر السلام دعاء للغير بالحفظ والسلامة من الآفات والمصائب، وهو خفيف على اللسان، لا يعجز عنه إلا البخلاء، وهو دعاء محبب للنفس رغب فيه النبي ﷺ، ألا ترى أنه عندما حذَّر من فساد ذات البين رغَّب في إفشاء السلام، وما ذاك إلا لأهميته في تقريب القلوب.

■ عن الزبير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**دَبَّ إليكم داءُ الأمم قَبلكُم: الحسدُ والبغضاءُ؛ هي الحالقَةُ؛ حالقةُ الدين لا حالقة الشعر .. والذي نفس محمد بيده، لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تَحَابُّوا .. أفلا أنبِّئُكم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**»[1].

(١) رواه أحمد، والترمذي، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٣٦١).

وقد أحسن من قال:

قــد يمكث الناسُ دهرًا ليس بينهم
ودٌّ فـيــزرعـه التّسليم واللُّطـــفُ

والسلام الحقيقي الصادق هو الذي يُصاحِبُه إشـراقة وجه، مع حبٍّ وإقبال، فليس كل سلام ينفذ إلى القلب، فينبغي لكل عاقل أن يتذكر الغرض من مشروعيـة السلام، وليتأمل كلماته (السلام ـ الرحمة ـ البركة)، وعليه أن يشـيع ذلك بين المسلمين، ويظهر أن الإسلام دين السلام.

٢ ـ الهدية

تمليك ما يبعث غالبًا بلا عوض بقصد الإكرام والتودد والصِّلة.

والهداية تأسِـرُ القلوب، وتُحوِّل الغاضِبَ إلى حـبيب، وكم أقـامت من روابط، وأطفـأت مـن أحـقـاد، وكم أذهبت وحـر الصدور، وكم قربت من متباعد، فلله مـا أعظم الإسلام عندما رغب في الهدية.

والهـدية رزق من الله لهـا تأثيرٌ عـجـيبٌ في القلوب؛ تذهب الأحقاد، وتفتح الأبواب المغلقة، وهي من المستحبات والمفرحات، أمرها محمود، وردُّها مذموم، وليس لها وقت معلوم، فكم ألفت

بين متخاصمين، وقربت بين متباعدين، فما أحسن الهدية للوالدين، أو بين الزوجين، أو الجارين أو الصديقين.

ومن عظيم شأنها ذكرها الله في القرآن على لسان مَلِكَة اليمن عندما دعاها سليمان عليه السلام للإيمان حاولت عن طريق الهدية أن تثني سليمان عليه السلام عن عزمه؛ قال تعالى: ﴿ **وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ** ﴾ (النمل: ٣٥).

■ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أجيبوا الدَّاعي، ولا تردُّوا الهدية، ولا تضربوا المسلمين**»[١].

والهدية تجلُبُ المحبة وتقربُ البعيد، كالسحر تجعل البغيض قريبًا والعدوَّ حبيبًا، ولا ينبغي للمرء أن يردَّ شيئًا صالحًا أُهدي إليه.

■ عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ: «**كان يَقبَلُ الهديةَ ويُثيبُ عليها**»[٢].

■ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تهادوا تحابُّوا**»[٣].

■ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا نساء المسلمات، لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة**»[٤].

---

(١) صحيح: رواه أحمد، والبخاري في «الأدب المفرد».
(٢) رواه أحمد، والبخاري وغيرهما.
(٣) حسن: رواه البخاري في «الأدب المفرد»، وأبو يعلى، وحسنه الألباني.
(٤) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم.

وكانت أختي الفاضلة البارة منى الخراز - رحمها الله تعالى - كلما أهدتني هدية تمثلت لي ببيت من الشعر حفظته من لسانها لا أعرف قائله:

لو كان يُهدى إلى الإنسان قيمتُه ▪▪▪ لكان قيمتُك الدُّنيا وما فيها

وقال الناظم:

هدايا الناس بعضهمُ لبعض ▪▪▪ تُولِّدُ في قلوبهم الوصالاَ

وتزرع في الضمير هوىً ووداً ▪▪▪ ويُكسِبُهُم إذا حَضَرُوا جَمالاَ

وأحسن من قال:

إن الهدية حلوة ▪▪▪ كالسحر تجتلبُ القلوبا

تُدني البعيد من الهوى ▪▪▪ حتى تُصيِّره قريبا

وتُعيدُ مُضطغن العداوة ▪▪▪ بعد نُفرته حبيبا

ومن الأمثال: إذا قدمتَ من سفرٍ فأهدِ أهلك ولو حجرًا.

٣ـ الإحسان والكرم والجود والسخاء

الكرم والجود والإحسان من مكارم الأخلاق، ومن أفضل الصفات على الإطلاق، أوصى الله بها نبيه، وحثنا عليها، وكفى بالجود حمدًا أن اسمه مطلقًا لا يقع إلا في حمد، وكفى بالبخل ذمًا أن اسمه لا يقع إلا في ذم.

■ قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ (الليل: ٥-٧).

■ عن أنس رضي الله عنه قال: «**كان رسول الله أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس**»[١].

قيل: جبلت النفوس على حبٍّ من أحسن إليها.

وقيل: من أحسن إليك فقد استرقك بامتنانه.

وقال الناظم:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم ▪▪▪ فطالما استعبد الإنسان إحسانُ

وقال آخر:

لا تفرحنَّ بسقط الرجال ولا ▪▪▪ تهزأ بغيركَ واحذر صولةَ الدُّوَلِ

فخيرُ مالِ الفتى مالٌ يصونُ بهِ ▪▪▪ عرضًا ويُنفقهُ في صالح العملِ

وابق الأحبةَ والإخوان إن قطعوا ▪▪▪ حبلَ الودادِ بحبلٍ منكَ متّصلِ

قال بعض الحكماء: أصل المحاسن كلها الكرم، وأصل الكرم نزاهةُ النفسِ عن الحرام، وسخاؤُها بما يملك على الخاص والعام، وجميع خصال الخير من فروعها.

---

(١) متفق عليه.

قلت: ولا يسمى المرء كريمًا حتى يفيض خيره ونحله، وقديمًا أحب العرب الكرماء ولهجوا بأسمائهم حتى كانوا مضرب المثل، وعندما جاء الإسلام وولد رسول الله ﷺ ـ سيد الكرماء، أجود الناس ـ حثنًا على الإنفاق والعطاء.

■ عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ابدأ بنفسك فتصدق عليها، فإن فضل شيءٌ فلأهلك، فإن فضل عن أهلك شيءٌ فلذي قرابتك، فإن فضل شيءٌ فهكذا وهكذا»**[1].

٤ـ التبسم وطلاقة الوجه

التبسم أقل من الضَّحك، وهو انفراج أسارير الوجه حتى لكأن الوجه ينطق بالحب والشوق، إنه التبسم الصادق غير المصطنع أو الساخر، تبسم المودة والبِشر والصَّفاء بفم طاهر ووجه أجمل من الورد والقمر، فمثل هذا التبسم يأسر القلوب وينفذ إلى الأرواح، وبالأخص إذا كان عن إقبال بالوجه مع الحديث.

■ عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تَحْقِرنَّ مِن المعروف شيئًا، ولو أن تَلقى أخاك بوجهٍ طَلق»**[2].

■ وعن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: **«ما حَجَبَني رسول الله ﷺ منذُ أسلمت، ولا رآني إلا تَبَسَّم في وجهي»**[3].

---

(١)،(٢) رواهما مسلم.

(٣) رواه مسلم (٦٣١٤).

■ وقال رسول الله ﷺ: «تبسمك في وجه أخيك صدقة»[١].

■ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنكم لا تسعون الناس بأموالكم، ولكن ليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق»[٢].

■ عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: «كان رسولُ الله ﷺ يُقبل بوجهه على أشَرِّ القوم، يتألَّفُهم بذلك، فكان يُقبِل بوجهه وحديثه عليَّ، حتى ظننتُ أني خيرُ القوم، فقلت: يا رسول الله، أنا خيرٌ أو أبو بكر؟ قال: «أبو بكر»، فقلت: يا رسول الله، أنا خيرٌ أو عُمرُ؟ فقال: «عُمَرُ»، فقلت: يا رسول الله، أنا خيرٌ أو عثمان؟ قال: «عثمان»، فلما سألتُ رسول الله ﷺ فَصَدَقني، فَلَوَدِدتُ أني لم أكن سألتُه»[٣].

٥- الشكر والدعاء

جبلت النفوس البشرية على محبة من يشكرها على جميل قَامُوا به، ومن حرصهم على حب الثناء على الإحسان، علمًا أن الأصل في العمل وجه الله سبحانه كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ (الإنسان: ٩)، ولكن المسلم المحسن يريد المعروف بمكافأة، وإن لم يجد دعا للمحسن.

(١) رواه الترمذي، وصححه الألباني.
(٢) رواه البزار وغيره، وصححه الألباني.
(٣) رواه مسلم، وانظر تخريجه في «مختصر الشمائل المحمدية» (٢٩٥).

■ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«من صنع إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه»**[١].

■ عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من لم يشكر الناس لم يشكر الله»**[٢].

٦ـ العفو عن الناس

إن العفو عن الناس هو ترك المؤاخذة بالذنب مع ترك العقاب عليه، وعفوت عن الحق أسقطته كأنك محوته عن الذي هو عليه، والعفو مستحب ومحمود إذا كانت الإساءة مخصوصة بالعافي، كمن أُخذ ماله أو حقه أو شُتم عرضه أو ظُلِم، والعفو من أخلاق المرسلين، فقد عفا رسولنا الكريم ﷺ عن كثير من المشركين، وعفا نبي الله يوسف عليه السلام عن إخوته.

ويختلف العفو عن الصلح في كون الأول إنما يقع ويصدر من طرف واحد، بينما الصلح إنما يقع من طرفين، فافهم!

وفي التنزيل: ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (آل عمران: ١٣٤).

(١) رواه أحمد، وأبو داود، وصححه الألباني.
(٢) رواه أحمد، والترمذي، وصححه الألباني.

■ وقال الله تعالى: ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

■ وقال تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾.

(الأعراف: ١٩٩)

■ وقال تعالى: ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ (الشورى: ٤٠).

■ وقال تعالى: ﴿ وَلا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (المائدة: ١٣).

■ وقال ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (النور: ٢٢).

■ وقال سبحانه: ﴿ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (التغابن: ١٤).

■ وفي الحديث: «ما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزاً»[١].

■ وقال ﷺ: «ارحموا تُرحموا، واغفروا يُغفر لكم»[٢].

■ وقال ﷺ: «اسمح يُسمح لك»[٣].

---

(١) رواه أحمد، ومسلم.

(٢) رواه أحمد، «صحيح الترغيب» (٢٤٦٥).

(٣) رواه أحمد، «صحيح الترغيب» (١٧٤٩).

فمن صفات المحسنين الأتقياء: العفو عن الناس، فمن رام العز فعليه بالعفو، ومن أراد المغفرة فعليه بالعفو، فكم من إنسان عظم قدره في قلوب الناس وأعـزَّه الله بسبب عفـوه وكظم غيظه، وله في الآخرة ثواب عظيم.

ومع ذلك فلا لوم إن انتصر المظلـوم من المسلم، فالانتصار من الكافر حتم، ومن المسلم مباح، والعفو مندوب[١].

■ قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ (٣٩) وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ (٤١) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٢) وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ** ﴾ (الشورى: ٣٩-٤٣).

ولك ـ يا عبد الله ـ في عـفو رسول الله ﷺ أكبر عـبرة وأغلى درس، فما أجمل العـفو عند المقدرة، فقد عفـا عن أبي سفيان، وحكيم بن حــزام، وبديل بن ورقـاء، وعكرمـة بن أبي جــهل، وعبد الله بن سـعد بن أبي السرح، ولم ينتقم منهـم على ما سبق من حربهم لله ولرسوله، وذلك عام فتح مكة.

---

(١) قاله القرطبي في «التفسير» (١٦/ ٤١).

وعفا أبو بكر الصديق ﷺ عن مسطح بن أبي أثاثة، وقد قذف عائشة أم المؤمنين ﷺ وردَّ له العطاء.

فالعفو يُتْرك في حالات:

١ ـ الانتصار في البغي والظلم من المشركين والظلمة الأشرار أهل العناد.

٢ ـ إذا احتيج إلى كفِّ زيادة البغي وقطع مادة الأذى، ويشهد لما قال أن زينب أسمعت عائشة ﷺ بحضرة النبي ﷺ، فكان ينهاها فلا تنتهي، فقال لعائشة: «**دونك فانتصري**»[1].

وقد يظن ظانٌّ أن العفو عن المسيء والإحسان إليه مع القدرة عليه موجب للذلة والمهانة، وأنه قد يجر إلى تطاول السفهاء، وهذا خطأ، فالعفو إسقاط حقك جودًا وكرمًا وإحسانًا مع قدرتك على الانتقام، فتؤثر الترك، رغبة في الإحسان ومكارم الأخلاق، بخلاف الذل فإن صاحبه يترك الانتقام عاجزًا وخوفًا ومهانة نفس، فهذا غير محمود، بل لعل المنتقم بالحق أحسنُ حالاً منه.

(١) رواه مسلم، انظر: «تفسير القرطبي» (١٦/ ٤٤).

٧ـ الخلق الحسن

يكفي في الخلق الحسن أنه سبب لمحبة الله تعالى ومحبة رسوله ﷺ، وأنه حسن عند كل الناس، والنصوص في هذا الباب متوافرة من القرآن والسنة.

■ عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من خياركم أحسنكم أخلاقًا**»(١).

٨ـ الكلمة الطيبة

الكلمة الطيبة .. وما أدراك ما الكلمة الطيبة!! الكلمة الطيبة صدقةٌ .. يُحِبُّها الرحمن، وينال بها المرء عالي الجنان .. شأنها عظيم، تفتح الأبواب المغلقة .. هي القول السديد .. وهي لسان المؤمن .. أعذب الألفاظ .. ومغناطيس القلوب .. هي الصدق .. والمعروف .. والدُّعاء .. والموعظة الحسنة .. والذكر الجميل.

وتحت قوله تعالى: ﴿**وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ (الإسراء: ٥٣)، كنز عظيم من أحسن استخراجه وفق لفتح مغاليق القلوب والآذان.

---

(١) رواه أحمد، والبخاري ومسلم.

الكلمة الطيبة يحتاجها الصغير والكبير، والحاكم والمحكوم، هي الشفاء بين المتخاصمين .. وبلسم الحب بين المحبين، والعافية بين الأزواج، وكلمة الصدق بين الأحباب، وسلوة الحزين والسجين، هي الكلمة الحلوة التي تشجي الأسماع .. تُرضي العامل وتستنهض الخامل، وترفع الهمم.

هي طيب المجالس، ويُحبها السائر والجالس، بها تكون المجالس نافعة، وبها تكون الأسرة متلاحمة.

والكلمة الطيبة جهاد ونصح وإرشاد وأمر بمعروف ونهي عن منكر.

والكلمة الطيبة حية لا تموت .. تُولد حية وتبقى مثمرة باسقة، لا تموت بموت أهلها بل تبقى بعدهم شاهدة! يا لها من كلمة طيبة يحبها العلماء والملوك والرؤساء والرجال والنساء والأطفال.

ولله كم من كلمة طيبة حفظ بها عرض امرأة، وأُنصف بها إنسان، وأعيد الحق لمظلوم.

ما أعظم الكلمات الصادقة النقية المباركة: ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ** ﴾ (إبراهيم: ٢٤-٢٥).

كلمة دعانا الله سبحانه أن نقولها للناس، فقال سبحانه: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ (البقرة: ٨٣).

لعمرك هذه هي الكلمة الطيبة كشجرة طيبة، أصلها ثابت وفرعها في السماء.

٩ ـ إعلان المحبة في الله تعالى

الحب في الله أوثق عُرى الإيمان، والمتحابون في الله لهم منابر من نورٍ يوم القيامة، يغبطهم النبيون والشهداء، والحب في الله فضيلته من السبعة الذين يظلهم الله في ظله: «**رجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه وتفرقا عليه**»، والحياة لها طعم حين نعيشها لله، ولها طعمان حين نعيشها مع أُنَاسٍ نُحبُّهم في الله ويحبوننا، وكلمة (أحبك) محببة للنفس، وعندما تقال لله يكون لها وقع في النفوس، فالحب في الله مساحة كبيرة وأرض فسيحة، نباتها الصدق والإخلاص، وماؤها التواصي بالحق والصبر، ونسيمها حسن الخلق، فما أشجى الأسماع مثل كلمة «أُحبُّك في الله».

■ قال بعض الصالحين: كلما قرأت قوله تعالى: ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ (الزخرف: ٦٧)، ندمت على كل صحبة ورفقة، وإذا قرأت ﴿ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾، فرحت أن لي إخوة أحبهم في الله.

■ عن المقداد بن معدي كـرب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أحب أحدكم أخاه؛ فليعلمه أنه يحبه**»[(١)].

■ وفي رواية: «**إذا أحبَّ أحـدكم أخـاه فليـعلمـه؛ فـإنه أبقى في الألفة وأثبت في المحبة**»[(٢)].

■ وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قـال رسول الله ﷺ: «**إذا أحب أحـدكم صاحبه؛ فليأته في منزله فليخبره أنه يحبه لله**»[(٣)].

من كمال الشريعة الإسلامـية: حث العباد على توثيق الصلات وجمع الشـمل بدعوة العباد إلى الحب في الله إذا اتصـفوا بمكارم الأخـلاق، فيكون الحب لهم لله لا لـذة ولا منفعـة، كمـا ندب الإسلام المسلـم إذا أحب فلانًا أن يقول له: إنـي أحبك في الله، حتى يستميل قلبه ويستجلب وُدَّهُ.

قال المناوي: «**فليخبره أنه يحبه**» بأن يقول: إني أحبك لله، أي لا لغيره من إحسان أو غيره، فإنه أبقى للألفة وأثبت للمودة، وبه

---

(١) رواه أحمد وغيره، وصححه الألباني، انظر: «صحيح الجامع» (٢٧٩).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في كتـابه «الإخوان» عن مجاهد مرسـلاً، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع».

(٣) رواه أحمد، وصححه الألباني في «صحيح الجامع».

يتزايد الحب ويتضاعف وتجتمع الكلمة وينتظم الشمل بين المسلمين وتزول المفاسد والضغائن، وهذا من محاسن الشريعة»[1].

تنبيه: نبه الشيخ المناوي في (الفيض) أن ظاهر الحديث لا يتناول النساء، فإن اللفظ (أحد) بمعنى واحد، وإذا أريد المؤنث إنما يقال إحدى، لكنه يشمل الإناث على التغليب، وهو مجاز معروف مألوف، وإنما خص الرجال لوقوع الخطاب لهم غالبًا، وحينئذ إذا أحبت المرأة أخرى لله ندب إعلامها.

١٠ - استغلال المناسبات

وعلى العاقل أن يستغل المناسبات السَّارة أو المحزنة، فيجعل من ذلك مدخلاً للحبِّ والتواصل، ومن ذلك:

- التهنئة بالعيدين، أو ولادة مولود، أو شهر رمضان المبارك، أو العودة من السفر، أو الزواج، أو التهنئة بحصول البعض على منصب أو نجاح في دراسة.

- أو المناسبات المحزنة: كالعزاء بمفقود، أو بمصيبة، أو عيادة مريض، ونحو ذلك.

---

(١) «فيض القدير» للمناوي.

١١ ـ الشفاعة وإدخال السرور على المسلم

■ قال تعالى: ﴿مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾ (النساء: ٨٥).

■ عن معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا»[١].

■ قال الإمام السعدي: «المراد بالشفاعة هنا: المعاونة على أمر من الأمور، فمن شفَّع غيره وقام معه على أمر من أمور الخير، ومنه الشفاعة للمظلومين لمن ظلمهم كان له نصيب من شفاعته بحسب سعيه وعمله ونفعه، ولا ينقص من أجر الأصيل أو المباشر شيء، ففي هذا الحث العظيم على التعاون على البر والتقوى والزجر العظيم عن التعاون على الإثم والعدوان»[٢].

قال ابن مفلح المقدسي: «وينبغي أن لا يندم من رُدَّت شفاعته ولا يتأذَّى ممن لم يقبلها، والناس في هذا الأمر ورد شفاعتهم وعدم قبولها متفاوتون جدًا كما هو معلوم من أحوالهم»[٣].

قال الناظم:

فأحسن إن أوتيت جاهًا فإنه ▪▪▪ سحابةُ صيفٍ عن قليلٍ تَقَشَّعُ
وكن شافعًا ما كنتَ في الدهرِ قادرًا ▪▪▪ وخيرُ زمانِ المرءِ ما فيه يَشفَعُ

---

(١) رواه ابن عساكر، وصححه الألباني.
(٢) «تيسير الكريم الرحمن» (١٥٥). (٣) «الآداب الشرعية» (٢/ ١٨٠).

خطوات العلاج

١ - الإصلاح بين الزوجين

شرع الله - سبحانه وتعالى - الزواج لحكم عظيمة، وهو آية من آيات الله سبحانه؛ قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: ٢١).

فمن آيات الله الدالة على رحمته وحكمته أن جعل الزواج من نفس جنس بني آدم ولم يجعله من الحيوان أو الجان، أو غير ذلك، حتى تحصل بذلك الألفة والمودة والرحمة، فالسكن والمودة والرحمة هما أساس العلاقة الزوجية بين الرجل والمرأة، وبغياب المودة والرحمة ينهار السكن، وتأمل قوله: ﴿أَزْوَاجًا﴾، لم يقل «نساءً» لأن السكن لا يمكن أن يتحقق إلا بالزواج المشروع، وبعد الزواج المشروع تأتي المودة والرحمة، وسبحان الله! زوج وزوجة لا يعرف أحدهما الآخر بمجرد أن يتم الزواج المشروع تأتي المودة والرحمة كأنهما يعرفان بعضهما من سنين طويلة، فالمودة والرحمة تأتي تبع للسكن، وتأمل قوله: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾، لم يقل: «جعل لكم» وإنما ﴿بَيْنَكُم﴾ بمعنى الزواج تبادل المودة

والرحمة والحب وارتباط وميثاق قائم على تماسك الأرواح وليست الأجساد فقط.

وشرع الله سبحانه الزواج لمنافع كثيرة، منها الأمان النفسي وإشباع العاطفة ولنداء الجسد في صورة مشروعة، استجابة للفطرة، وطلبًا للنسل، حماية للنفس البشرية من الانحراف وتحصين الفرج وإعفاف الزوجة من الوقوع في الرذيلة.

وبهذا الزواج يتحقق إشباع الحاجات النفسية بين الزوجين، وحاجة الزوجة إلى الأمومة والزوج إلى الأبوة، وفي ظل المودة والرحمة تنشأ علاقات اجتماعية بين الأسرتين، فيصبح البعيد قريبًا وتزدهر العلاقات الصادقة في المجتمع ويصبح جسدًا واحدًا، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر.

الحقوق الزوجية:

- قال تعالى: ﴿ **وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ** ﴾ (البقرة:٢٢٨).

بمقتضى عقد الزواج يصبح للزوجين حقوقًا مشتركة، وحقوق لكل من الزوج والزوجة، وبمعرفة هذه الحقوق وقيام كل من الزوجين بما يجب عليه؛ تصبح الأسرة قوية راسخة بتوفيق من الله تعالى.

الحقوق المشتركة بين الزوجين:

١ - حرمة المصاهرة: بمعنى أن الزوجة تحرم على آباء الزوج وإن علا، وأبنائه وإن نزل، كما يحرم الزوج على جميع أصول الزوجة وفروعها.

٢ - حلُّ الاستمتاع: فلكل من الزوجين حق الاستمتاع بصاحبه، وفق ما شَرَعَ الله ورسوله ﷺ، ولا يمتنع أحدهما عن الآخر إلا لعذر شرعي.

٣ - النسل وانتساب الأولاد: فلا يجوز لأحد الزوجين أن يمنع الآخر حقه من الإنجاب وانتساب المولود إليه.

٤ - حسن المعاشرة بالمعروف: قال تعالى: ﴿ **وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ** ﴾ (النساء:١٩)، والنساء مأمورات بحسن العشرة، ولكن الخطاب جاء للرجال؛ لأن مظنة الظلم منهم أكثر، على حين أنه من المرأة أقل لضعفها[1].

٥ - التوارث: فعقد الزواج الصحيح يثبت بين الزوجين حق التوارث إذا مات أحدهما.

٦ - الاشتراك في تربية الأولاد.

---

(١) انظر: «الصلح في الإسلام» (٨١).

حقوق الزوجة على زوجها:

للزوجة على زوجها حقوق مالية كالمهر والنفقة والسكنى، وحقوق غير مالية ومنها:

١ ـ حسن المعاشرة أو المفارقة بالمعروف.

٢ ـ عدم إيذائها بقول أو فعل بضربها في وجهها أو تقبيحها.

٣ ـ حفظ عرضها ومالها ودينها.

٤ ـ أن يعدل بينها وبين الأخرى في المبيت والطعام والشراب والكساء والمعاملة الظاهرة.

حقوق الزوج على زوجته:

١ ـ طاعة الزوج بالمعروف، وأن تعرف أن له حق القوامة في شئون الحياة الزوجية.

٢ ـ الإقامة في بيت الزوجية وعدم الخروج منه إلا بإذنه، ولا تأذن لأحد بدخول بيته إلا بإذنه.

٣ ـ أن تخدمه بالمعروف وتخدم أولاده وترعاهم.

٤ ـ عدم إيذائه في عرضه أو ماله أو دينه أو عياله.

٥ ـ أن لا تصوم التطوع وزوجها شاهد إلا بإذنه، وتطيعه إذا دعاها لفراشه.

٦ ـ أن تشكر له فضله.

من صور الخلاف بين الزوجين
وكيفية التعامل معها

لا تَسلَم أُسرة من بعض الخلاف في مسيرة الحياة الزوجية، وقد يكون منشأ الخلاف الزوج، وتارة الزوجة، أو هُما معًا، ونظرًا لأن صور الخلاف متعددة اختلفت وسائل العلاج.

مشاكل مالية: تكمن في إسراف الزوجة أو بُخل الزوج، والعلاج يكمن في الاعتدال في الصرف، وتقديم الأمور المهمة على غيرها، مع ادخار شيء من المال لأي طارئ، وبعض الأزواج يستولي على راتب زوجته كله أو بعضه من غير طيب نفس منها[1].

مشاكل تَدخُّل أهل الزوجين في الحياة الزوجية: كتدخل أم الزوجة في عش الزوجية بالأمر والنهي، وكذلك تدخل أي طرف من أهل الزوج في الحياة الزوجية مما يجعل الزوجين في حيرة في إرضاء الآخر، وربما يزيد المشكلة سوءًا إذا كان التدخل بطريقة غير مناسبة، والواجب على الزوجين الاستقلال بشخصيتهما مع عدم الاستغناء، مع تحديد الظروف التي يسمحان فيها بتدخل الأهل

---

(١) انظر كتاب: «أزواج بالكذب» للأستاذ/ عبد الله الرحيلي، يعالج فيها ظاهرة أكل بعض الأزواج أموال زوجاتهم ظلمًا.

حتى يستطيعا الحد من تدخلهم، ولكن من الأفضل في بعض الأحيان تدخل الأهل تحت ظروف معينة عند وجود مشكلة تهدد الحياة الزوجية مع تحديد الشخص المطلوب للتدخل أن يكون من كبار السن العقلاء.

مشاكل خُلقية: تتعلق بسوء خلق كل من الزوجين في التعامل مع الآخر، إما بالسِّباب وإما بالجفاء، والواجب على الزوجين التخلق والتأدب بآداب الإسلام، مع تغيير نمط الحياة والخروج من الرتابة إلى التجديد والتغيير.

مشاكل دينية: بالبعد عن دين الله بعدم صلاة أحد الزوجين أو عدم حجاب الزوجة، أو التساهل في محادثة الزوج للنساء أو التعلق بإحدى النساء بالحرام أو العكس، مما يُعكِّر صفو الحياة الزوجية، والواجب على الزوجين التمسك بالكتاب والسنة والسير على منهج السلف الصالح، مع الحرص على فرائض الإسلام كالشهادتين والصلاة والزكاة والصوم والحج، وتعليم الأولاد محبة النبي ﷺ، مع البعد عن معصية الله سبحانه بأي شكل من أشكال المعصية، مع الحذر من خيانة أحد الزوجين، أو إجبار الزوجة على الحرام كإتيانها من الموضع الحرام في الجماع، أو تعاطي الزوج للمشروبات المحرمة كالخمر والمخدرات، والقمار، فعلى الزوحين الحرص على التقوى مع إخلاص كل من الطرفين للآخر.

نشوز الزوجة ووسائل علاجه

■ قال الله تعالى: ﴿ واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً إن الله كان علياً كبيراً ﴾ (النساء: ٣٤).

النشوز كراهة كل من الزوجين لصاحبه، فإذا نفرت الزوجة من زوجها ولم تعد تطيعه فيما فرض الله عليها فهي ناشز، تأثم بذلك، «فإذا ظهر من المرأة أمارات النشوز إما بالقول مثل: إن اعتادت حسن الكلام، أو كان إذا دعاها أجابت بلبيك ونحوه فتغير ذلك، وإما بالفعل بأن كانت في حقه طلقة الوجه فأظهرت عبوسة، أو أبدت إعراضًا على خلاف ما ألفه من حسن الملتقى، فهي ناشز»[1].

* ❊ *

(١) انظر: «كفاية الأخيار» (٥٠٩).

أساليب العلاج

الوسيلة الأولى ـ الموعظة الحسنة:

فإن بان نشوزها؛ وعظها باللين والكلام الطيب متجنبًا التجريح أو التعنيف، قال تعالى: ﴿ **واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن** ﴾ (النساء: ٣٤)، بأن يقول: ما هذا التغيير الذي حدث منك، وكنت ألفت منك غير ذلك، فاتقي الله تعالى، فإن حقي واجب عليك. ويكرر النصح لها مرات عديدة مرغبًا لها بثواب طاعتها له، مرهبًا لها بعاقبة معصيته، والزوج أدرى بالجوانب التي تؤثر في زوجته فينبغي أن يسلكها في وعظه متحليًا بالصبر والكياسة، ومبينًا لها أن من حقه إذا لم تستجب له هجرها، فمن النساء من تستجيب ويكفيها الوعظ والحمد لله، ومنهن لا يؤثر فيها الوعظ، فيلجأ إلى التحذير من غضب الله تعالى، ومن شماتة الناس إن هي طلقت مثلاً، وإن لم تفلح هذه الوسيلة لجأ إلى الوسيلة الثانية.

الوسيلة الثانية ـ الهجر في المضجع:

إذا لم تفلح الوسيلة الأولى ـ وكثيرًا ما تفلح ـ يلجأ الزَّوج إلى الوسيلة الثانية، وهي الهجر في المضجع ﴿ **واهجروهن في المضاجع** ﴾، وهذا تأديب نفسي لأنوثة المرأة، فمن النساء من لا ينفع معها المناصحة اللطيفة والكلمة الطيبة ـ وهنَّ قلة ـ، فعليه أن

يلجأ الزوج إلى الهجر في المضجع (أي في المنام بالاعتزال عنها بما يناسب حالها ويؤثر فيها) زجرًا عن نشوزها ليس هجرًا في البيت أو أمام الأولاد أو خروجًا من المنزل؛ إنه الهجر المشروع الذي يحقق التأديب ويرفع التمرد بما لا يزيد عن شهر واحد، أما الهجر بترك الكلام فلا يزيد عن ثلاثة أيام، وإذا لم تفد هذه الوسيلة أيضًا لشراسة في طبعها لجأ إلى الوسيلة الثالثة.

الوسيلة الثالثة ـ الضرب غير المبرح:

إذا لم ترتدع المرأة بالموعظة والهجر، وعجز الزوج عن ردها عن نشوزها، أباح الله تعالى للزوج تأديب زوجته الناشز بالضرب غير المبرح، أقول أباح الله ولم يوجب . . فقد أباح الله للزوج أن يضرب ضربًا يُصلحُها لا يكسر فيه عظمًا ولا يُحدث جرحًا أو يشوِّه لحمًا، ولا يضرب الوجه ولا يقبح، ولا يكون الضرب في مكان واحد، ولا يضرب بالعصا أو بآلة، ولا يتخذ الزوج الضرب وسيلة لكل شيء بسبب وبغير سبب، ليشفي غضبه؛ لأن ذلك ظلم واعتداء، مع الأخذ بعين الاعتبار أن يترتب على ذلك المقصود، وإلا فلا يضربها ـ فاحفظ هذا فإنه مهم ـ، لأن الضرب تأديب وليس انتقامًا، قال تعالى: ﴿ **فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً** ﴾ (النساء: ٣٤).

كمـا أنه لا يجوز للزوج أن يضرب زوجتـه لتحقيق حـاجاته؛ كأخذ مـال منها مثلاً، أو لحق الله تعـالى كتأخيـر الحج مثلاً، أو الزكاة عند جمهور العلماء.

تحمل سوء خلق الزوجـة والصبر عليهـا أفضل، وهذا الضرب الأولى تركه لأحاديث كثيرة منها:

عن إياس الدوسي مـرفوعًـا قال: **«لقد طاف الليلة بآل محمد سبعون امرأة، كلهن يشكين أزواجهن ولا تجدون أولئك خياركم»**[1].

تنبـيه: يتـهم الغرب المسلمين بـأن الإسلام يهين المرأة المسلمـة بالضرب، والأمـر ليس كذلك، بل الإسـلام يتكلم عن قلة قليلة متمردة مـن النساء كافرات النعمة شـديدات العناد، فأباح الإسلام تأديبها بالشروط المذكورة محاولةً لإنقاذ الأسرة من الشتات.

ومن المضـحك جدًا، أنهم يتـهمـون الإسلام؛ علمًـا أن آخر إحـصائيـاتهم تقـول أن ٧٩٪ من الرجـال في أمريكا يضـربون زوجاتهم ضـربًا يؤدي إلى عاهة، ١٧٪ منهن تستـدعي حالاتهن الدخول للعناية المركزة، وتخسـر أمريكا كل عام ٥ مليارات دولار نتيـجة الغـياب عن العمل الناتج عن الضـرب .. أما في فـرنسا

(١) **صحيح**: رواه أبو داود، وابن ماجه.

فهناك مليوني امرأة معرضة للضرب سنويًا ٩٢٪ من عمليات الضرب تقع في المدن، و٦٠٪ من الشكاوى الليلية تتلقَّاها شرطة النجدة في باريس هي استغاثة من نساء يسيء أزواجهن معاملتهن، وفي بريطانيا ٧٧٪ من الأزواج يضربون زوجاتهن دون أن يكون هناك سبب، ومع ذلك يقولون: انتهاك لحقوق الإنسان تتعرض لها المرأة المسلمة، والسؤال لماذا لا يقبلون منا تقارير مماثلة لهم على ما يرتكبونه في حق نسائهم؟ لذلك لا ينبغي أن نلتفت كثيرًا لمحاولاتهم تشويه صورتنا؛ لأن الضرب عندنا مباح ولا يجب وبشروط محددة لقلة قليلة من النساء المتمردات من أجل بقاء الأسرة، لا كما يحدث عندهم.

الوسيلة الرابعة - تدخل الحكمين:

■ قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ (النساء: ٣٥).

عندما تفشل الوسيلة الثالثة يتم اللجوء إلى التحكيم حكمًا من أهله وحكمًا من أهلها من أهل العدالة والبصيرة والمعرفة بحال الزوجين، ويتصفان بالإخلاص لتحديد سبب الخلاف ودراسة المشكلة مع ما فيه مصلحة الزوجين ويحكمان بالجمع أو التفريق.

الوسيلة الخامسة ـ التدرج في الطلاق:

من حسن التشريع الإسلامي المحافظة على الأسرة من التَّصدُّع، وعندما أباح الطلاق جعله مُفَرَّقًا، ليجرب الرجل نفسه بعد كل طلقة، ولعل الزوجة أن ترتدع، ولعل ما بعد الطلقة الأولى يراجع الزوج نفسه ويعود لزوجته ويستأنف حياته، فالطلاق يأتي بعد بذل كل الجهود للمحافظة على الأسرة من التفرق، وجعل له قيودًا للتقليل منه، وأتى بالخطوات التالية ليرد الزوجين إلى بعض قدر الإمكان.

١ ـ شرع الله الطلاق الرجعي مرتين لعل وعسى أن تعود الحياة الزوجية مرة أخرى، وحدد فيه عدد الطلقات التي يملك الرجل الرجعة فيه بمرتين، قال تعالى: ﴿**الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ**﴾ (البقرة: ٢٢٩).

والطلاق الرجعي: «هو ما يجوز معه للزوج رد زوجته في عدتها من غير استئناف عقد جديد، ولو من غير رضاها، ويكون ذلك بعد الطلاق الأول، والثاني غير البائن إذا تمت المراجعة قبل انقضاء العدة، فإذا انتهت العدة صار الطلاق بائنًا، فلا يملك الزوج إرجاع زوجته المطلقة إلا بعقد جديد»[١].

(١) «صحيح فقه السنة» (٣/ ٢٦٢).

٢ ـ نهى الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ الأزواج أن يخرجوا المطلقات من البيوت وكذا الزوجات من الخروج من بيت الزوجية دون سبب في مدة العدة إلا لضرورة إذا وقعت المرأة بفاحشة الزنا، أو يكون إيذاؤها متعديًا على من يسكن معها، وعلة هذا النهي تركه فرصة للمراجعة لعل فورة الغضب تزول في فترة العدة، ويكون قربها منه في بيت الزوجية تتزين له؛ لأنه ما زال بعلاً لها أي زوجًا؛ لقوله: ﴿وبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ﴾، وينظر إلى حسنها ما يدعوه إلى مراجعتها وغض النظر عن نشوزها، وهذا ما تشير إليه الآية: ﴿لعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ (الطلاق: ١).

قال تعالى: ﴿لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ (الطلاق: ١).

٣ ـ سنة الإسلام في الطلاق أن يوقعه الرجل في ابتداء العدة بأن يطلقها في طهر لم يمسها فيه حتى لا يحدث اشتباهًا في العدة، ولا يطلقها في وقت الحيض حتى لا يطول عليها زمن العدة[١].

---

(١) «الصلح في الإسلام» (١٤٢).

ووجه استحباب الانتظار للطهر الثاني: أنه إذا أمسكها إلى الطهر الثاني، فإن مقامها سيطول، وقد يجامعها في هذه الفترة، فيذهب ما في نفسه من سبب طلاقها، فيقلع عن رغبته في طلاقها ويستقر على إرادة إمساكها[(١)].

٤ ـ لا تجوز خطبة معتدة غيره من طلاق رجعي لا بطريق التصريح أو التعريض؛ لأنها في حكم زوجة الغير، وفي خطبتها إيذاء له واعتداء عليه، والله لا يحب المعتدين[(٢)].

قلت: وخطبتها في العدة تصريحًا أو تلميحًا نوع من التخبيب المنهي عنه شرعًا، كما يصنع ذلك من لا خلاق له، وما هذا التشريع إلا محافظة على الأسرة من التَّصدُّع والانهيار، وترك فرصة كبيرة لعودة المياه إلى مجاريها.

٥ ـ وإذا قدر الله سبحانه وانفصمت عرى الزوجية بين الاثنين، فإن الله يوصي الزوجين بوصايا؛ قال الله تعالى: ﴿**أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ**﴾ (البقرة: ٢٢٩)، وقال سبحانه: ﴿**وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ**﴾ (النساء: ١٣٠)، وقال تعالى: ﴿**وَلا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ**﴾ (البقرة: ٢٣٧).

---

(١) «صحيح فقه السنة» (٣/ ٢٩٢).
(٢) «الأحوال الشخصية في التشريع الإسلامي» (٤٥).

نشوز الزوج ووسائل علاجه

إذا تباعد الزوج عن زوجته واستعلى بنفسه عن زوجته إلى غيرها وأظهر خشونة في القول أو الفعل فهو ناشز أيضًا، أما الإعراض فهو انصرافه بوجهه عنها، فلا يكلمها ولا يأنس بها ويسكت عنها، وهذا دليل على نفرته وكراهيته لها[١].

▪ قال تعالى: ﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ (النساء: ١٢٨).

إذا ظهرت علامات النشوز أو الإعراض من الزوج بعدم معاملة الزوجة كما كان يعاملها سابقًا وأراد الارتفاع عنها بالطلاق فلا بأس أن تتنازل المرأة عن بعض حقوقها إن أرادت استمرار العشرة الزوجية لتبقى في عصمته، وهذا من الصلح والصلح خير من الفراق، فقد تتنازل عن بعض مهرها أو ليلتها أو نفقتها، أو غير ذلك من الحقوق، وكل ذلك جائز إبقاء للحياة الزوجية، وعلى الزوج أن لا يُهمل زوجته؛ فإن ذلك ليس من الإمساك بالمعروف.

---

(١) «الصلح في الإسلام» (١١٣).

■ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «خشيت سودة أن يطلقها النبي ﷺ فقالت: لا تطلقني وأمسكني، واجعل يومي لعائشة، ففعل، فنزلت: ﴿فلا جُناح عليهما أن يُصلحا بينهما صلحًا والصلح خير﴾، قال ابن عباس: فما اصطلحا عليه من شيء فهو جائز»[1].

ولا ينبغي للزوج أن يتخذ نشوزه ذريعة لإسقاط ما يجب عليه معتمدًا على دلال زوجته له من غير مسوغ شرعي، فإن ذلك يعتبر حرامًا.

—— * ❋ * ——

(١) رواه الترمذي، وصححه الألباني.

٢ - الإصلاح بين الأخوين

■ قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (الحجرات: ١٠).

■ عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام**»[١].

الأخوة في الله تعالى أمرها عظيم، وأخوة الإيمان أعظم من أخوة النسب، ورُبَّ أخ لك لم تلده أمك، وليس بالضرورة أن يكون كلُّ شقيقٍ مُعِينًا نَاصرًا عَطُوفًا ودودًا لأخيه، بل ربما يكون خصمًا لدودًا، وعدوًا فاجرًا، فكم من شقيق يُضمِر العداء لشقيقه، ويكره له الخير - ولا حول ولا قوة إلا بالله -. ولقد أحسن العباس بن عبيد بن يعيش حيث يقول:

كم من أخٍ لم يلده أبوكا ■■■ وأخ أبوه أبوك قد يجفوكا
صاف الكرام إذا أردت إخاءهم ■■■ واعلم بأن أخا الحفاظ أخوكا
كم إخوةٍ لك لم يلدك أبوهم ■■■ وكأنما آباؤهم ولدوكا
لو كنت تحملهم على مكروهة ■■■ تخشى الحتوف بها لما خذلوكا
وأقاربٍ لو أبصروك معلَّقًا ■■■ بنياط قلبك ثم ما نصروكا
الناسُ ما استغنيت كنت أخًا لهم ■■■ وإذا افتقرت إليهم فضحوكا

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

وإذا ما وقعت الخصومة بين الأخوين فإنه يجب عليهما أن يصطلحا سريعًا ويتوبا إلى الله تعالى؛ فإن التهاجر دون مبرر شرعي حرام.

■ عن أبي أيوب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يحلُّ لمسلم أن يهجُر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيُعرضُ هذا ويُعرضُ هذا، وخيرُهما الذي يَبدأ بالسلام»**[(١)]. وعلى العُقَلاَء السَّعي لإصلاح ذات البين حتى لو تجاوز بعض الكذب.

■ عن أم كلثوم بنت عقبة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«ليس الكذاب الذي يُصْلِحُ بين الناس، فينمي خيرًا أو يقول خيرًا»**[(٢)].

تذكير المُتَخَاصِمين بعدم الإكثار من الذكريات المؤلمة وعثرات الماضي؛ لأنها تولد الشَّحناء وتُحيِي البغضَاء، بل الواجب علينا نسيان الماضي لنحيا سعداء، ومع العفو ننال محبة الله.

■ قال تعالى: ﴿**فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ (المائدة: ١٣)، وقال تعالى: ﴿**فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ**﴾ (الحجر: ٨٥).

■ وقال رسول الله ﷺ: **«من أقال مسلمًا عثْرَتَهُ أقالَهُ الله عثْرته يوم القيامة»**[(٣)].

---

(١) رواه البخاري ومسلم. (٢) رواه البخاري ومسلم. وقوله «فينمي» أي: يبلغ.
(٣) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود.

٣ ـ الإصلاح بين الأقرباء

اللبيب من يجعل لنفسه يدًا ومعروفًا، يقصد به وجه الله سبحانه لكل أرحامه، يجمع لنفسه رصيدًا للمستقبل، والأمر كما قيل: من أحسن إليك استرقك، والمعروف يأسر القلوب، فإذا جاء وقت الإصلاح نفعك الذكر الحسن وفعلك الجميل وصلتك لأرحامك.

وكل ما يزرع الإنسان يحصده ■■■ فأحسن الزرع يحسن حين يُحتصدُ

استعن بكبار السن من الشيوخ العقلاء، فإنهم يعينونك على حل المشكلات.

عليك بتذكير الأرحام بواجبهم تجاه البعض: ﴿ **وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ** ﴾ (النساء: ١).

وأين منا مثل هذا الحليم:

وذوي رحم قلمت أظفار ضغنه ■■■ بحلمي عليه وهو ليس له حلم

—— * ❋ * ——

التطبيق العملي لإصلاح ذات البين

وهذا فصل أخير من السيرة النبوية فيه شواهد للتطبيق العملي من فعل النبي ﷺ لإصلاح ذات البين، لتكون مُغنية لكل مصلح وموعظة لكل قاطع، والله الهادي إلى سواء السبيل.

١ ـ الإصلاح بين الزوجين:

اعلم ـ رعاك الله ـ لا يسلم بيت من المشكلات حتى بيوت أصحاب الفضل، ربما وقع فيها شيء من الغضب، ولكن الموفق البصير من ينهض للإصلاح، ويطفئ موقد الشرر.

■ عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: ما كان لعليّ اسمٌ أحبَّ إليه من أبي تراب، وإن كان ليفرح به إذا دُعِيَ بها، جاء رسول الله ﷺ بيت فاطمة ـ عليها السلام ـ فلم يجد عليًا في البيت، فقال: «**أين ابنُ عمك؟**»، فقالت: كان بيني وبينه شيءٌ فغاضبني فخرج، فلم يَقِلْ عندي، فقال رسول الله ﷺ لإنسان: «**انظر أين هو؟**»، فجاء فقال: يا رسول الله، هو في المسجد راقدٌ، فجاء رسول الله ﷺ وهو مضطَجعٌ قد سَقَط رِداؤه عن شِقِّه فأصابَه ترابٌ، فجعل رسول الله ﷺ يمسحهُ عنه وهو يقول: «**قُم أبا تُراب، قُم أبا تُراب**»[1].

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

قال ابن بطال: « وفيه (أي الحديث) أن أهل الفضل قد يقع بين الكبير منهم وبين زوجته ما طبع عليه البشر من الغضب، وقد يدعوه ذلك إلى الخروج من بيته ولا يعاب عليه»[1].

قال ابن حجر: «ويحتمل أن يكون سبب خروج علي خشية أن يبدو منه في حالة الغضب ما لا يليق بجناب فاطمة رضي الله عنها، فحسم مادة الكلام بذلك إلى أن تسكن فورة الغضب من كل منهما، وفيه كرم خلق النبي ﷺ؛ لأنه توجه نحو علي ليترضَّاه، ومسح التراب عن ظهره ليبسطه، وداعبه بالكنية المذكورة المأخوذة من حالته، ولم يعاتبه على مغاضبته لابنته مع رفيع منزلتها عنده، فيؤخذ منه استحباب الرفق بالأصهار وترك معاتبتهم إبقاءً لمودتهم؛ لأن العتاب إنما يخشى ممن يخشى منه الحقد لا ممن هو منزه عن ذلك»[2].

٢ ـ الإصلاح بين المتنازعين المتداينين:

■ عن كعب بن مالك رضي الله عنه أنه كان على عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي مال، فلقيه فلزمهُ حتى ارتفعت أصواتهما، فمرَّ بهما

---

(١) «الفتح» (١٠/٥٨٨).
(٢) «الفتح» (١٠/٥٨٨).

النبي ﷺ فقال: «**يا كعب**» ـ فأشار بيده كأنه يقول النصف ـ فأخذ نصف ما له عليه، وترك نصفًا(١).

▪ وعن عبد الله بن كعب: أن كعب بـن مالك أخبره أنه تقاضى ابن أبي حدرد دينًا كان له عليه في عهد رسول الله ﷺ في المسجد، فارتفـعت أصواتهمـا حتى سمعـهم رسول الله ﷺ وهو في بيته، فخرج رسول الله ﷺ عليهمـا حتى كشف سجف حـجرته، فنادى كعب بن مـالك، فقال: «**يا كعب**»، فقال: لبـيك يا رسول الله، فأشار بيـده أن ضع الشطر، فقال كعب: قـد فعلت يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «**قم فاقضه**»(٢).

٣ ـ الإصلاح بين الجماعات والقبائل:

▪ عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن أهل قباء اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة، فأُخبر رسول الله ﷺ بذلك، فقال: «**اذهبوا بنا نصلح بينهم**»(٣).

▪ وعن سهل بن سـعد رضي الله عنه: «**أن ناسًا من بنـي عمـرو بن عوف كـان بينهم شيء، فخرج إليهم النبي ﷺ في أناس من أصحابه يصلحُ بينهم**»(٤).

في الحـديث دعوة إلى قطع الخـلاف وحـسم دواعي الفرقـة، والتعاون في سبيل ذلك.

---

(١)، (٢)، (٣)، (٤) رواها البخاري.

من أخبار السلف قصة عائشة وابن الزبير رضي الله عنهما

عن عوف بن الحارث بن الطفيل ـ وهو ابن أخي عائشة لأُمها ـ أن عائشة رضي الله عنها حدثت: أن عبد الله بن الزبير قال في بيع ـ أو عطاء ـ أعطته عائشة: والله لتنتهين عائشة أو لأحجُرنَّ عليها، فقالت: «**أهو قال هذا؟**»، قالوا: نعم، قالت عائشة: «**هو عليَّ نذر أن لا أكلِّم ابن الزبير أبداً**»، فاستشفع ابن الزبير بالمهاجرين حين طالت هجرتها إياه، فقالت: «**لا والله لا أشفع فيه أحداً أبداً، ولا أتحنث إلى نذري**».

فلما طال ذلك على ابن الزبير كلم المِسور بن مخرمة، وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث، وهما من بني زهرة، فقال لهما: أنشدكما بالله لما أدخلتماني على عائشة فإنها لا يحل لها أن تنذر قطيعتي، فأقبل به المِسْوَر وعبد الرحمن مشتملين عليه بأرديتهما حتى استأذنا على عائشة فقالا: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، أندخل؟ فقالت عائشة: «**ادخلوا**»، قالا: كلنا؟ يا أم المؤمنين، قالت: «**نعم، ادخلوا كلكم**»، ولا تعلم أن معهما ابن الزبير، فلما دخلوا دخل ابن الزبير الحجاب، فاعتنق عائشة وطفق يناشدها يبكي، وطفق المِسْوَر وعبد الرحمن يناشدانها إلا ما كلمته

وقبلت منه، ويقولان: «إن النبي ﷺ نهى عن - ما علمت من - الهجرة، فإنه لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال».

قال: لما أكثروا على عائشة من التذكرة والتحريج طفقت تذكرهما وتبكي وتقول: «**إنِّي قد نذرت، والنذر شديد**»، فلم يزالا بها حتى كلمت ابن الزبير، وأعتقت في نذرها أربعين رقبة، وكانت تذكر نذرها بعد ذلك فتبكي حتى تبل دموعُها خمارَها[1].

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» وفي «الأدب المفرد».

المراجع

- «الأحوال الشخصية في التشريع الإسلامي» د. أحمد الغندور - مكتبة الفلاح - الطبعة الثالثة (١٤٠٥-١٩٨٥).
- «أخطاء شائعة» خالد الخراز - الطبعة السادسة.
- «إرواء الغليل» العلامة الألباني - المكتب الإسلامي (١٣٩٩-١٩٧٩).
- «إصلاح ذات البين» د. صالح بن فوزان الفوزان - دار القاسم (١٤٢٢).
- «إعلام الموقعين» ابن القيم. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.
- «الآداب الشرعية والمنح المرعية» ابن مفلح المقدسي. مكتبة ابن تيمية.
- «تدخل الأهل في حياة الزوجين بين الصواب والخطأ» نشرة صادرة عن إدارة الاستشارات الأسرية. وزارة العدل الكويتية.
- «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد» ابن عبد البر.
- «تفسير القرآن العظيم» للحافظ ابن كثير. الشعب.
- «تفسير البغوي» الإمام البغوي - دار المعرفة (١٤٠٦-١٩٨٦).
- «تيسير العزيز الحميد» للشيخ. سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب - المكتب الإسلامي.
- «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» للعلامة السعدي - مؤسسة الرسالة (١٤١٦-١٩٩٦).

■ «**الدر المنثور في أحكام الطيب والبخور**» للمؤلف. مكتبة الإمام الذهبي والمكتبة العصرية ـ الطبعة الأولى (١٤٢٥-٢٠٠٥).

■ «**رسائل في التربية والأخلاق والسلوك**» د. محمد الحمد ـ دار ابن خزيمة (١٤٢٤-٢٠٠٣).

■ «**روائع القصص النبوي**» خالد الخراز وعدنان عبد القادر ـ مكتبة الإمام الذهبي والمكتبة العصرية ـ الطبعة الثانية (١٤٢٤هـ -٢٠٠٣).

■ «**روضة العقلاء ونزهة الفضلاء**» ابن حبان البستي.

■ «**الزواجر عن اقتراف الكبائر**» ابن حجر الهيتمي ـ دار الحديث (١٤١٧-١٩٩٦).

■ «**سلسلة الأحاديث الصحيحة**» الألباني ـ مكتبة المعارف.

■ «**سنن ابن ماجه**» تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ـ دار الفكر.

■ «**سنن أبي داود**» دار الكتب العلمية (١٣٩٤-١٩٧٤).

■ «**سنن الترمذي**» بتحقيق أحمد شاكر ـ دار إحياء التراث العربي.

■ «**سنن النسائي**» دار البشائر.

■ «**شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات**» ابن الأنباري. تحقيق عبد السلام هارون ـ دار المعارف (١٤٠٠-١٩٨٠).

■ «**صحيح الترغيب والترهيب**» الألباني ـ مكتبة المعارف (١٤٢١-٢٠٠٠).

■ «صحيح الجامع الصغير وزيادته» للعلامة الألباني - المكتب الإسلامي (١٤٠٦-١٩٨٦).

■ «صحيح فقه السنة» تأليف كمال بن السيد سالم - المكتبة التوفيقية.

■ «صحيح مسلم» تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء التراث العربي.

■ «صلة الأرحام» للمؤلف. طبع لجنة الكلمة الطيبة بجمعية إحياء التراث الإسلامي.

■ «الطلاق الأثر والنتيجة» نشرة صادرة عن إدارة الاستشارات الأسرية - وزارة العدل الكويتية.

■ «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» العيني. دار إحياء التراث.

■ «الفتاوى الكبرى» ابن تيمية. دار الكتب العلمية.

■ «فتح الباري شرح صحيح البخاري» الحافظ ابن حجر - الطبعة السلفية.

■ «فتح الملك المعبود تكملة المنهل العذب المورود» د. أمين محمود خطاب - المكتبة الإسلامية (١٣٩٤هـ-١٩٧٤م).

■ «فوائد الفوائد» العلامة ابن القيم. ترتيب علي بن حسن الحلبي - دار ابن الجوزي (١٤١٨-١٩٩٧).

■ «فيض القدير بشرح الجامع الصغير» المناوي - دار المعرفة (١٣٩١-١٩٧٢).

■ «**قانون الأحوال الشخصية**» الكويت.

■ «**الكرم والجود والسخاء**» تأليف سمير حسين حلبي - دار الصحابة للتراث - الطبعة الأولى (١٤٠٨).

■ «**كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار**» تقي الدين الحسيني الحصني - دار الكتب العلمية.

■ «**مستدرك الحاكم**» دار الكتب العلمية.

■ «**مسند أبي يعلى الموصلي**» دار المأمون للتراث (١٤٠٦-١٩٨٦).

■ «**مسند الإمام أحمد**» المكتب الإسلامي (١٤٠٣-١٩٨٣).

■ «**المعجم الكبير**» الطبراني. تحقيق حمدي السلفي (١٤٠٥-١٩٨٤).

■ «**المعجم الوسيط**» المكتبة الإسلامية.

■ «**المنهاج الإسلامي**» تأليف هاشم محمد علي - دار الثقافة.

■ «**موسوعة نضرة النعيم**» مجموعة من الباحثين - دار الوسيلة - الطبعة الثالثة (١٤٢٥-٢٠٠٤).

■ «**النهاية في غريب الحديث والأثر**» ابن الأثير - المكتبة الإسلامية.

■ «**الهجر في الكتاب والسنة**» تأليف مشهور حسن محمود سلمان - دار ابن القيم (١٤٠٩-١٩٨٩).

* ❋ *

الفهرس

الموضـــوع | صفحة

